وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون – تيارت–
كلية العلوم الإنسانية
قسم تاريخ
تخصص تاريخ المغرب الأوسط

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب الأوسط موسومة بـ:

التجارة و دورها الحضاري على عهد الدولة الرستمية (160- 296هـ / 777- 909م)

إعداد الطالبة :
لعطب بدرة

تحت إشراف الأستاذ:
عليلي محمد

رئيسا.....
أ. عليلي محمد– مشرفا و مقررا.....
مناقشا.....

الموسم الجامعي:
2014-2013/1435-1434 م .

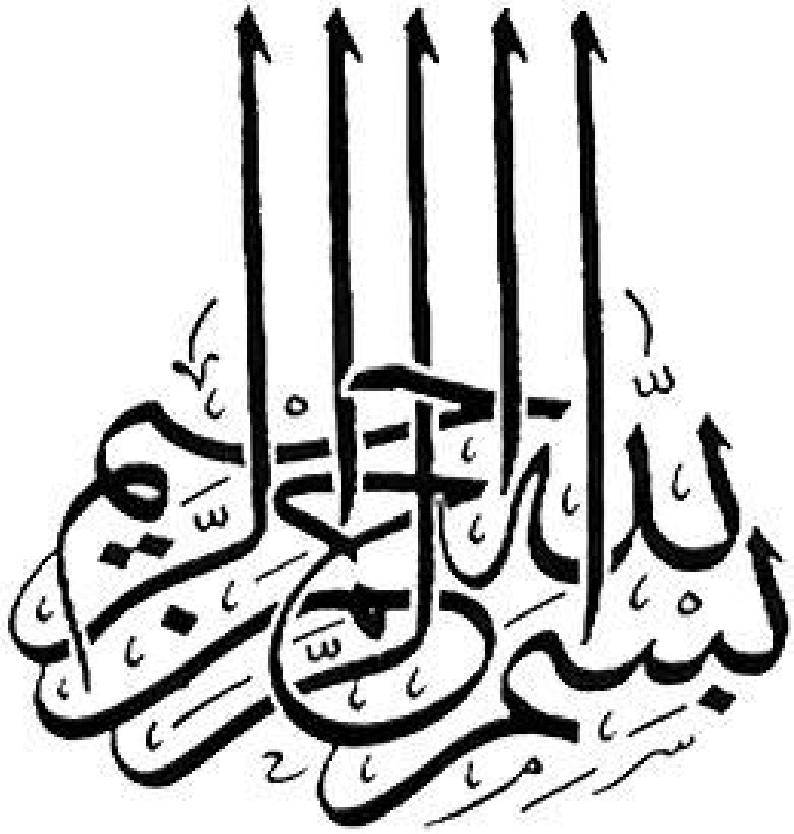
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و تقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي و على والدي و أن أعمل عملا صالحا ترضاه و أصلح لي في ذريتي إني تبت إليك و إني من المسلمين ﴾

صدق الله العظيم سورة الأحقاف الآية 15

الشكر و الحمد أولا وأخيرا لله سبحانه و تعالى

و لا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي الفاضل المشرف الذي أعانني على إنجاز هذا البحث فوجهني وأرشدني كما أحسب له قراءته المتأنية و صبره الجميل فلكل التقدير لك و الاحترام.

وأتوجه أيضا بآيات الشكر إلى كل أساتذة قسم التاريخ الذين لم يبخلوا علي بتوجيهاتهم ونصائحهم خاصة الدكتور الأستاذ شرف عبد الحق والأستاذ بخاري و الأستاذة بوجمعة طيب نعيمة والأستاذة شرقي نوارة لكم مني أسمى عبارات التقدير و الاحترام .

و لا يفوتني أن أشكر الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة الذين سيتجشمون عناء قراءة هذا البحث و نقده ثم تقييمه.

الشكر والتقدير البليغ لأمي الحبيبة التي ضحت من أجلي و شجعتني إذ ما فتئت تحثني على الصبر و المثابرة و الإصرار فلكي كل الوفاء و المحبة . والشكر الموصول لزميلاتي و زملائي في الدفعة خاصة برحو بوسيف و بوعزة كريمة، حلوز نور الهدى حفصاوي زهرة و إلى كل من قدم لي يد العون والمساعدة من قريب أوبعيد.

لكل هؤلاء أقول شكرا و ألف شكر.

قائمة المختصرات

قائمة المختصرات:

الاختصار	ما يوافقه
- تح	- تحقيق
- تع	- تعليق
- تص	- تصحيح
- تق	- تقديم
- مرا	- مراجعة
- تر	- ترجمة
- ط	- طبعة
- د . ط	- دون طبعة
- د . ت	- دون تاريخ
- د . ب	- دون بلد النشر
- م	- مجلد
- ج	- جزء
- ع . د	- عدد
- ص . p	- صفحة . PAGE
- ت	- توفي
- م	- ميلادي
- هـ	- هجري
- ق	- قرن
- إ . ع . م	- إطلع على الموقع

مقدمة

مقـــدمـــة

اتضحت الخريطة السياسية لبلاد المغرب ابتداء من النصف الثاني للقرن الهجري الثاني،بعد قيام الدويلات المستقلة (الصفرية بسجلماسة 140هـ/757م ، والأدارسة بالمغرب الأقصى170هـ/789م،والأغالبة بإفريقية184هـ/800م) لتتوسط الدولة الرستمية الاباضية هذه الدويلات ، شهد المغرب الأوسط اثر قيامها تغيرا جذريا حيث تمكنت هذه الدولة من إقامة حضارة مست جميع الجوانب الاجتماعية و الاقتصادية منها لاسيما انتعاش ملحوظ للنشاط التجاري ، وما ساعد في ذلك هو وقوعها في منطقة جغرافية متميزة حيث انحصرت بين الساحل والصحراء و بذلك كانت نقطة التقاء بين الشرق و الغرب و بين الشمال و الجنوب ، الأمر أتاح لها السيطرة على شبكة هائلة من الطرق التجارية.

والدارس للنشاط التجاري في الدولة الرستمية يدرك اعتماد هذه الدولة في مختلف أطوارها على هذا المجال حيث مثل دعامة لمركزها السياسي وازدهارا اقتصاديا ترك أثرا إيجابيا على الحياة الاجتماعية والثقافية ، وهو بلا شك الجوانب الأساسية للمجال الحضاري ، فحملت التجارة معها مؤثرات حضارية جعلت تيهرت تكتسب شهرة عالمية حتى سميت بـ "عراق المغرب" و أصبحت مركز التقاء تجاري و حضاري ربط خاصة بين دول المغرب في ظل تفرق و تمزق مذهبي و سياسي ، و على الرغم من أنّ هذه الدولة لم تعمر طويلا إلاّ أنّها ساهمت في البناء الحضاري للمغرب الإسلامي فهي إذا لبنة من لبنات الحضارة الإسلامية ككل.

كما أن تاريخ المغرب الإسلامي و خاصة المغرب الأوسط بحاجة لجهود الدارسين ففترات كثيرة و مسائل متعددة من تاريخه لم تدرس بالتفصيل ، لا سيما فترة حكم الرستميين ،ولما كانت التجارة تمثل مقياس الحيوية الحضارية للدول حيثما كانت و أينما وجدت ،فإنّ من شأن مثل هذه الأبحاث أن تمدنا بالكثير سواء فيما يخص الناحية الاقتصادية ،و كذا الاجتماعية و حتى السياسية ،و ليتيسر لنا ، نحن المبتدئين فهم تنظيمات النشاط التجاري و أثره على عهد الدولة الرستمية فهما واضحا ، و من ثم دراستها بشكل أكثر عمقا .

و بناء عليه جاء اختياري لهذا الموضوع على أساس التعرف على أحد الجوانب الحيوية للنشاط الاقتصادي للمغرب الأوسط وهو التجارة على عهد الدولة الرستمية (160-296هـ/777-909م)، وكذلك التعرف على إحدى الخصائص الحضارية لهذه الدولة باعتبارها نموذجا لدولة إسلامية مثلت حلقة من حلقات الحضارة الإسلامية ببلاد المغرب الأوسط والمغرب الإسلامي عموما .فما هي المقومات والعوامل الذاتية والموضوعية التي ساعدت على نمو و ازدهار هذا النشاط ؟ وإلى أي مدى أثرت

جهود الأئمة الرستميين في الاهتمام بالتجارة والارتقاء بها إلى خارج حدود دولتهم ؟ وما هي طبيعة العلاقات التجارية بين الدول القائمة آنذاك في ظل الاختلاف المذهبي والسياسي الذي طبع الخريطة للمغرب الإسلامي ؟ وما هي مكانة التجارة في التطور الحضاري للمغرب الأوسط على عهد الدولة الرستمية ؟

ونظرا لما يكتسيه هذا الموضوع من أهمية على صعيد الدراسات التاريخية الحديثة فإنّه لا مناص من استخلاص المادة العلمية من مصادرها الأولى لتكوين صورة عامة عن جانب التجارة وازدهارها، وما صحبه ذلك الازدهار من تأثير حضاري على المستوى الداخلي و الخارجي.

وعلى الرغم من الدور التجاري الذي اضطلعت به هذه الدولة بيد أن الدراسات و الكتابات التاريخية التي تناولت هذا الموضوع تعد قليلة علاوة على أنّها لم تعالج هذا الموضوع بشكل مستقل بل درسته ضمن السياق السياسي العام للدولة الرستمية وعليه لازلنا في حاجة إلى ابراز صورة واضحة عن الحياة الاقتصادية عامة و دور التجارة خاصة .

وموضوع كهذا يتطلب منهج معين يتمثل في المنهج السردي التحليلي الاستقرائي الاستنتاجي ، الذي كان مناسبا للموضوع في نظرنا بحكم أن كثير من المسائل تطلبت تعليقات و تعقيبات من مراجع و مصادر أخرى خاصة فيما يتعلق بتنظيمات خاصة بالتجارة الداخلية و الخارجية وبالعلاقات التجارية على اعتبار اختلاف الاتجاه المذهبي و السياسي بين الدول القائمة و الدولة الرستمية دولة الخوارج الإباضية.

وحتى يستجيب الموضوع لمتطلبات البحث العلمي المنهجي ويعكس محتوى المادة العلمية جاءت خطته على الشكل التالي :

مقدمة

ـ مدخل : تضمن "بدايات الرستميين" و انطوى تحته بداية أمر الاباضية بطرابلس و القيروان ثم انتقالهم لبلاد المغرب الأوسط حيث أسس هناك عبد الرحمن بن رستم دولته بعد بناء تيهرت و مبايعته إماما سنة161هـ/777م ،ثم بينا حدود الدولة الجغرافية .

ـ الفصل الأول: تحت عنوان "عوامل ازدهار التجارة على عهد الدولة الرستمية" و اندرج تحته مبحثان، تطرقنا فيهما للزراعة و الصناعة لنتمكن من معرفة مقومات قيام العمل التجاري، فبينا عوامل نموهما وازدهارهما وبذلك تنمو التجارة ، مع التطرق لأهم المنتجات الزراعية و تربية المواشي و حتى نظام الرعي باعتبار أن الدولة الرستمية امتلكت نطاقات رعوية واسعة، أيضا ذكرنا المنتجات الصناعية مع التطرق لأهم الصنائعوالمهن و تأثير

العامل الطبيعي في ذلك و من جهة أخرى بينا العراقيل التي وقفت أمام ذاك الازدهار أهمها الفتن و الحروب التي عانت منها الدولة ، وختمناهذا الفصل بخاتمة وضحنا فيها أن هذان المجالان مكملان لبعضهما البعض .

ـ الفصل الثاني: خصصته لـ" التجارة على عهد الدولة الرستمية " فكان أول مباحثه التجارة الداخلية و ضم عوامل نموها و ازدهارها ثم بينا تفاعلات التجارية للرستميين خصوصا فيما يخص الأسواق و أحوالها كما بينت تنظيماتها و أهمها الحسبة و نظام النقود ووضحت ما إذا كان للرستميين دور ضرب وعملة رستمية تداولوها ، و جاء المبحث الثاني لذكر التجارة الخارجية فوضحنا عوامل نموها هي أخرى و العلاقات التجارية التي ربطت الرستميين مع غيرهم وما كان لهذه العلاقات من إسهام كبير في توسيع مجال التجارة خاصة مع بلاد السودان الغربي الذيعد إقليما مهما في تنشيط التجارة الخارجية للرستميين، كما بينا أهم الطرق المؤدية إلى مختلف المناطق و المراكز التجارية ثم ختمت هذا الفصل أيضا بخاتمةأوجزنا فيها أهمية التجارة في مختلف أطوار الدولة الرستمية .

ـ الفصل الثالث: استعرضت فيه " الأثر الحضاري للتجارة الرستمية" ضم مبحثين من خلالهما وضحنا أهم المؤثرات الحضارية سواء على المستوى الداخلي و الخارجي ، فبينا ذاك الأثر في تطور المدن الرستمية و توسع خططها و تطور المجتمع لتعرف المنطقة مرحلة انتقالية من البداوة إلى التمدن، كما حمل تجار القوافل بدورهم مختلف المؤثرات الحضارية إلى جانب سلعهم و بضائعهم إلى المناطق التي قصدوها لا سيما عاداتهم و تقاليدهم و أكثر من ذلك حملوا إسلامهم معهم إلى تلك الجهات التي لم يصلها من قبل وزرعوا البذور الأولى لنشره ،كما بدا واضحا ذاك التأثير من خلال تغيير وجه الحياة هناك وانهينا هذا الفصل بخاتمة أوردنا فيها أهمية الدور الحضاري للتجارة الرستمية .

خاتمة : عرضت فيها حوصلة شاملة استنتاجية لمضمونه من خلال رسمنا لمعالمه التي أعطتنا صور واضحة مبسطة و جامعة ، ولتدعيم هذه الدراسة ألحقتها بملاحق حاولت من خلالها إبراز ما وجدته قد يثقل البحث .

وعادة ما يواجه الدارس أو الباحث في هذه المواضيع من التاريخ الإسلامي صعوبات جمة لأنّ من عادة المصادرالتاريخية الاسهاب في التاريخ السياسي والإعراض فيما دون ذلك من موضوعات ، ومن سوء حظ الدولة الرستمية أن المصادر تناولتها بشكل عام و مختصر و هناك من المصادر من تجاهلتها لاعتبارات مذهبية ،في حين فقدت مصادرها إثر حرق مكتبتهم المعصومة على يد أبي عبد الله الشيعي، وعليه فإن الباحث في هذا الموضوع يجد صعوبة كبيرة في تحديد و ضبط معالم و مميزات التي انفرد بها الرستميون

في تلك الفترة من التاريخ الإسلامي فجل مادتنا العلمية جاءت من مصادر جغرافية أو أدب

الرحلات و عادة ما تكون متفرقة و غير مجموعة هذا ما صعب علينا مهمة تنسيق الأفكار و ربطها ، في المقابل من غيرالممكن أن ننكرأهمية هذه المعلومات التي تحصلنا عليها وعظيم فائدتها باعتبارها المصدر الذي استقى منه البحث مادته و معلوماته و حتى المعلومات التي جمعتها من الدراسات الحديثة .

ومن هنا اعتمدت هذه الدراسة على مجموعة من المصادر و المراجع تنوعت بين الكتب الجغرافية والتاريخية والفقهية و حتى كتب التراجم و أهمها:

أ ـ كتب الجغرافيا : أمدتني كتب الجغرافيا والرحلات بفائدة كبيرة في دراسة الطبيعة الجغرافية للمنطقة وصفا للمدن والموانئ وذكرالطرق والمسالك بالإضافة إلي المنتجات الزراعة والصناعية وفي مقدمتها:

ـ **اليعقوبي ،أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر،** (ت 284هـ/879م) : هو من أشهر أوائل الجغرافيين المسلمين و كتابه "البلدان"يبدو أنه اول من أفسح المجال في كتابه لبلاده المغرب الإسلامي فذكر مدنه و تتبع طرقه كما ذكر اتصاله ببلاد السودان وكان أول من أشار إلى وجود طريق بين تيهرت و سجلماسة وتأتي أهميته في كونه معاصرا للرستميين و في وصوله بلاد المغرب و مروره بتيهرت إلا المعلومات التي أوردها لا تكفي لإزالة الغموض عن الجوانب الاقتصادية و بدا واضحا إهماله للجانب الثقافي، إذ لم يقدم شيئا في خصوصه و اتفق اليعقوبي في تجاهله أمر الدولة الرستمية مع غيره من الجغرافيين المسلمين لكن المعلومات التي قدموها ساعدت بحثي كثيرا ومنهم :

ـ **ابن حوقل النصيبى**(ت٣٦٧هـ /٩٧٧م): الذي قدم لنا في كتابه"صورةالأرض" وصفا لمدينة تيهرت والطرق والمسالك التي تربطها بالمغرب والصحراء خاصة طريق تيهرتسجلماسة وتكمن أهمية الكتاب فيكون ه قد جمع مادته أثناء تجواله واشتغاله بالتجارة فقد طاف بن حوقل في بلاد المغرب حتى درعة ودخل الصحراء حتى أودغست فكان بذلك أول جغرافي عربي يصل إلى بلادالسودان بالإضافة إلى ذكره منتجات بلاد المغرب فأفادنا ذلك في معرفة قائمة المبادلات بين تيهرت والبلاد المجاورة.

ـ **البكري، أبوعبيد الله،** (ت٤٨٧هـ /١٠٩٤م): في كتابه"المُغرِب في ذكر أخبار إفريقية و المَغرب(جزء من كتاب المسالك و الممالك)"معلومات مهمة حيث يفصل في ذكر الطرق المؤدية لأنحاء المغرب و المشرق الإسلامي خاصة إلى مصر و بلاد السودان و ذكر مسالكها و المسافات بينها ،كما ذكر المراسي المغربية و الأندلسية بالتفصيل ما خدم كثيرا

بحثنا بالإضافة لأهم السلع المتبادلة و حتى نظام المكاييل والموازين المتعامل به بين التجار .

ـ **الإدريسي**(ت٥٦٠هـ/ ١١٦٤ م)أول المتخصصين في علم الجغرافية ويعتبركتابه "نزهةالمشتاق في اختراق الآفاق"من المصادرالجغرافية المهمة فيما يتعلق بتاريخ المغرب والأندلس، وقد اتسم بالدقة في وصفه للمدن والبلدان التي زارها بالإضافة إلى تقديرالمسافات تقديرا دقيقاً فقدرها بالمراحل والأميال بين المدن والأقاليم وقد أولى الإدريسي أهمية خاصة إلى المسالك الاستراتيجية التجارية والموانئ البحرية ،بالإضافة إلى ذكره المنتجات الزراعية والصناعية لكثير من المدن المغربية والصحراوية الأمرالذى أفادني أيضا أثناء دراستي اللصادرات والواردات .

ب ـ كتب التاريخ:

ــ **ابن الصغير المالكي**(الذي كان حيا أواخر القرن 3هـ/9م) : يأتي في مقدمتها كتاب مؤرخ الدولة الرستمية في "أخبار الأئمة الرستميين" تأتي أهميته في أن ابن صغير كان معاصرا للرستميين من سكان تيهرت و من مذهب غير المذهب الاباضي ، كما أن الكتاب يعد أقدم مصدر مغربي يتعلق بالرستميين صور لنا الحياة بتيهرت بمختلف أوجهها و بين علاقاتها الداخلية و الخارجية فكان من أوائل من ذكروا مسير قوافل تيهرت التجارية إلى عدة اتجاهات وأشار إلى زيارة ابن عرفة لبلاد السودان و على أية حال تناول ابن الصغير سيرة الأئمة الرستميين من عهد الإمام عبد الرحمن بن رستم إلى غاية عهد الإمام أبو حاتم

ــ **ابن عذاري المراكشي**(كان على قيد الحياة سنة 712 هـ/1312م): في كتابه "البيان المُغرب في ذكر أخبار الأندلس والمَغرب ،الجزء الأول"و صف لنا مدينة تيهرت وذكر لنا أئمتها ابتداء من مؤسسها عبد الرحمن بن رستم إلى سقوطها بشكل موجز، كما احتوى كتابه على معلومات أفادتنا في مجال العلاقات الخارجية وذكر بعض الشخصيات الرستمية في الأندلس و مكانتهم هناك ، ما يلاحظ أن ابن عذاري تناول الدول التي عاصرت الرستميين بتفصيل واسع في حين لم تحظى الدولة الرستمية بذلك و لا دولة بني مدرار ربما لأنهما دولتا خوارج .

ــ **ابن خلدون عبد الرحمن** (ت808هـ/1406م): في كتابه "العبر وديوان المبتدأ و الخبر، الجزء السادس" لم يولي اهتماما لا لدولة الرستميين و لا الصفرية بسجلماسة مكتفيا بإشارات وردت أثناء تعرضه لقبائل زناتة مثل نفزاوة و هوارة و لماية ، تتعلق بالرستميين و مع هذا كانت المعلومات التي أوردها مفيدة على قلتها و يظل كتابه هذا مصدرا لا يستغنى عنه في دراسة تاريخ المغرب الإسلامي.

ومن أهم المؤلفات الاباضية التي اعتمد عليها بحثي :

ــ **أبو زكريا يحي بن أبي بكرالورجلاني** (ت 471هـ/1078م): "سير الأئمة و أخبارهم"، تناول تاريخ الأئمة الرستميين كما ترجم للعديد من شيوخ الاباضية و علمائهم مما ساعدنا كثيرا في الفصل الثالث لكن طغت على الكتاب روح العاطفة المذهبية لأبي زكريا مما أخرجه أحيانا من دائرة الموضوعية التي يتطلبها البحث العلمي.

ــ **الدرجيني،أبو العباس أحمد بن سعيد،** (ت670هـ/1272م): "طبقات المشايخ بالمغرب" تطرق فيه لسيرة الأئمة الرستميين بشكل موسع لكن بنوع من المبالغة بتأثير المذهب حيث لم يذكر خروج الرستميين عن مبادئ المذهب الاباضي بجعلهم الحكم وراثيا، على كل يبقى هذا المصدر ذو فائدة هامة لمن يبحث في تاريخ الرستميينو أمدنابمعلومات هامة حول علاقة تيهرت ببلاد السودان.

كما اعتمدنا على الدراسات الحديثة التي تقدم التحليلات والاستنتاجات والتعليقات التي يرجع إليها الباحث مهما كان تاريخ دراسته ، و من بين أهم المراجع :

ــ **عبد الكريم يوسف جودت:** اعتمدت على مرجعيه الأول "العلاقات الخارجية للدولة الرستمية" الذي خصص دراسته هذه لكل علاقات الدولة بما فيها التجارية وجاءت وافية في مجملها فاعتمدنا عليه في جميع فصول البحث إلا أنّه في الكثير من المواضع يذكر الإقتباس دون ذكر الإحالة في التهميش والثاني "الحياة الاقتصادية و الاجتماعية في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث و الرابع هجريين(9-10م)" كان أيضا مفيدا جدا لي بالرغم من ذكره لتيهرت فقط دون التطرق للمدن الرستمية الأخرى .

ـ **عيسى الحريري:** من خلال مرجعه "الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها و علاقاتها الخارجية بالمغرب و الأندلس" الذي ركز فيه على الأحوال الاقتصادية لكنه لم يفسح المجال لميدان التجارة كثيرا و لم يتوسع في ذكر السلع المصدرة من تاهرت والواردة إليها ، أما عن الحضارة الرستمية فلم يذكر لنا انجازاتها إلا القليل .

ــ **علي دبوز** : في " تاريخ المغرب الكبير" تناول الدولة الرستمية بإسهاب ، كما تعرض لعلاقاتها ،ومع أنه طغت العبارات الأدبية على أسلوبه بشكل واضح إلا أنه أفادنا كثيرا ولارتباط النشاط التجاري بمصطلحات اقتصادية إسلامية اعتمدنا على :

ـ **أحمد الشرباصي** : في "المعجم الاقتصادي" تناول معاني المصطلحات الاقتصادية و توضيح أهم الألفاظ التجارية التي كانت متداولة عند المسلمين.

وهناك طبعا مصادر ومراجع متنوعة أخرى حاولت من خلالها أن أثري هذا الموضوع الذي أتمنى أن يكون قد أجاب عن مختلف ما رسمته من أهداف علمية يتوخاها أي باحث في مثل هذه الدراسة.

مدخـــل :

بدايات الرستميين

مع أواخر القرن الأول و بداية القرن الثاني للهجرة ، شهد المغرب الإسلامي انتقال حركات مذهبية ، حملت معها عدة مبادئ و معتقدات مختلفة ، فأثرت و تأثرت في خضم أحداث وتطورات غيرت وجه الحياة في البلاد ، بمختلف صورها السياسية ، الإدارية الاقتصادية و الاجتماعية في سياقها الديني ، و ذلك بعد جهود مضنية حيث أرست تلك الحركات المقومات الأولى للبناء السياسي ببلاد المغرب الإسلامي ، و لاسيما بلاد المغرب الأوسط[1]، و من بين تلك الحركات حركة الخوارج الإباضية[2] ، فبعد اعتناق البربر لهذا المذهب و الإلتفاف حولها ، لما وجدوا فيه من تطابق لعقليتهم و نزعتهم الرامية إلى الإستقلال ، تزامنا مع حكم الولاة الأمويين و تجاوزاتهم حكم ، مما أدى إلى اندلاع ثورات حركها الخوارج الإباضية و حتى الصفرية[3] ابتداء من سنة 121هـ/738م[4] في خضم ذلك تمكن الإباضية سنة 140هـ/757م من الاستيلاء على طرابلس واتخذوها مقرا لهم و دانت البلاد لأبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري[5] و امتد سلطانه شرقا إلى برقة غربا إلى القيروان و جنوبا إلى فزان ، حيث اختار عبد الرحمن بن رستم رفيقه في العلم قاضيا بطرابلس[6] ثم عينه واليا على القيروان سنة 141هـ/758م ، بعد قضائه على و رفجومة الصفرية و قتل زعيمهم عبد الملك بن أبي الجعد ، لتصبح إفريقية

---

(1) - المغرب الأوسط يمثل جزءا من كلمة عامة هي المغرب مثلت تلك المساحات التي تلي مصر غربا حتى المحيط الأطلسي، و بعد امتداد حركة الفتح الإسلامي ميز الجغرافيون الأقاليم من هذه البلاد و ظهر مصطلح المغرب الأوسط أصبح مجرى وادي ملوية يمثل الحد الفاصل بين المغرب الأوسط والأقصى ، و شمالا نجد البحر المتوسط جنوبا الصحراء الكبرى ، أما شرقا فكانت حدودا مفتوحة طبيعيا وصلت حتى إقليم طرابلس و جبل نفوسة ، ينظر عبد الرحمن أبوزيد ابن خلدون ، العبر و ديوان المبتدأ والخبر ، مرا سهيل زكار ضبط و وضع الحواشي خليل شحاذة ،د .ط، دار الفكر، بيروت ،2001م ، ج 6 ، ص 128 ، أبو عبيد الله البكري،المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب ، جزء من كتاب المسالك والممالیك ، د.ط ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، د. ت ، ص 76 ، سعد عبد الحميد زغلول ، تاريخ المغرب العربي ، د.ط ، دار المعارف لبنان، 1965م ، ص 12،13، محمد عيسى الحريري ، الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي ،حضارتها و علاقتها الخارجية بالمغرب و الأندلس ط3، دار القلم ، الكويت ، 1986م ، ص 13،14، عن خريطة المغرب الإسلامي ينظر الملحق رقم ،03 .

(2) - الإباضية : نسبة إلى عبد الله بن إباض ، ظهرت سنة 64هـ - 683م، عندما خالف عبد الله بن إباض نافع بن الأزرق في تكفيره القعدة عن القتال واتخذ عبد الله بن إباض موقفا معتدلا والاعتدال هو السمة الواضحة لعقائد الإباضية ما جعلهم أقرب إلى أهل السنة ، محمد أبي الفتح أحمد الشهرستاني ، الملل و النحل ، تح أمير علي مهنا و علي حسن فاعود ،ط3 ، دار المعارف ، بيروت ، 1993م ، ج 1 ، ص 156 ، أول الدعاة في المغرب سلمة بن سعيد دخل أوائل القرن الثاني للهجرة ، لنشر المذهب الإباضي بين المغاربة ، أبو العباس أحمد بن سعيد الدرجيني طبقات المشايخ بالمغرب ، تح إبراهيم طلاي ، ط1، مطبعة البعث، قسنطينة ، 1974م ، ج1 ، ص 23.

(3) - الصفرية : نسبة إلى عبد الله بن الصفار ، ظهرت حين خالف عبد الله بن الصفار نافع بن الأزرق حول مسألة القعدة سنة 65 هـ - 684م و هو خلاف فقهي بالدرجة الأولى فاتخذوا منه موقف وسط بين الأزارقة و الإباضية ، فلم يكفروا القعدة عن القتال ، إذ كانوا موافقين في الدين والاعتقاد ، الشهر ستاني ، المصدر السابق ، ص 123،عبد الرزاق محمود إسماعيل ، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري ،ط2، دار الثقافة، المغرب ، 1985 م ، ص 44 ،45 .

(4) - المرجع نفسه ، ص 62، 63.

(5) - أبو الخطاب هو عبد الأعلى بن السمح المعافري اليمني أحد حملة العلم من الإباضية إلى المغرب أخذ العلم عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة ، إما م الكتمان في البصرة ، ولاه حملة العلم على أنفسهم للقيام بالدعوة سرا ثم الظهور بعدما تشتد شوكتهم ، ينظر الدرجيني ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 64.

(6) - السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، العصر الإسلامي ، دراسة تاريخية و عمرانية و أثرية ،د.ط ،دار النهضة العربية للطباعة و النشر لبنان ، 1981 م ، ص 353.

تابعة لإباضية طرابلس[1] و بتعيين عبد الرحمن بن رستم واليا على القيروان ، استطاع أن يراقب المغرب الأوسط عن كثب و أن يضم للمذهب الإباضي الكثير من الأنصار و الأتباع .لم يدم الأمر طويلا للإباضية بإفريقية و القيروان ، حيث أرسل الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور واليه محمد بن الأشعث[2] سنة 144هـ/761م لمحاربتهم[3] ، و التقى بأبي الخطاب و جموع الإباضية قريبا من طرابلس ، دارت بينهما معركة طاحنة (تاورغا)[4] أسفرت عن مقتل أبي الخطاب و تشتت جموع الإباضية[5] ورجوع عبد الرحمن بن رستم إلى القيروان و قد خرج سابقا لنجدة أبي الخطاب لكن وصله نبأ مقتله و هو بقابس ، لم يدخل عبد الرحمن بن رستم القيروان لأن أهلها نصبوا عاملا جديدا هو عمر بن عثمان القريشي أحد الموالين للخلافة ، فاتجه عبد الرحمن إلى المغرب الأوسط[6] ، فحين عمد ابن الأشعث إلى تتبع و استئصال شأفة الإباضية ، فقتل منهم بزويلة وودان ، و لقي إباضية طرابلس عنتا شديدا و لم يسلم إباضية زناتة على الرغم من خروجهم على أبي الخطاب و عدم اشتراكهم في معركة تاورغا[7]. بعد مقتل أبي الخطاب و لجوء عبد الرحمن بن رستم إلى المغرب الأوسط ، تداعت جموع الإباضية إلى الهدوء و الكتمان، بعد الثورة والظهور ، بقيت على ذلك ردحا من الزمن حتى أنست لنفسها قوة خاصة في حيز طرابلس[8] و أجمعت على مبايعة أبي حاتم يعقوب بن حبيب الملزوزي سنة 145هـ/762م .

---

[1] - موسى لقبال،المغرب الإسلامي منذ بدأ معسكر القرن إلى انتهاء ثورات الخوارج سياسة و نظم ،ط1،مطبعة البعث،الجزائر،1969م ص 28.

[2] - ابن الأشعث :هو محمد بن الأشعث بن عقبة الخزاعي ، أحد كبار القواد في خلافة أبو جعفر المنصور وجهه إلى المغرب عقب هزيمة جيش أبي الأحوص العجلي في بداية ثورة أبي الخطاب ، و قد دخل ابن الأشعث القيروان سنة 145 هـ /762 م و استقر به الأمر في إفريقية ، مات في غزو بلاد الروم سنة 148هـ/765م ، أبو زكريا يحيا بن أبي بكر ، سير الأئمة و أخبارهم ، تح إسماعيل العربي ، د.ط ، المكتبة الوطنية 1979م، ص 66.

[3] - عز الدين أبو الحسن علي ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تح الدقاق محمد يوسف،ط1 ،دار الكتب العلمية ،بيروت،1987م ، ج5، ص 317.

[4] - المعركة المذكورة تبعد مسيرة أربعة أيام من مدينة طرابلس شرقا، ينظر إبراهيم بكير بحاز ، الدولة الرستمية 160 هـ -296 هـ /777م-909م دراسة في الأوضاع الاقتصادية و الحياة الفكرية، ط1 ، جمعية التراث ، الجزائر،1995م ، ص67.

[5]- الحريري، المرجع السابق، ص 85.

[6] - أبي عبيدة الله محمد ابن عذاري ، البيان المغرب في ذكر أخبار الأندلس و المغرب،تح ومرا ج .س كولان و إ.ليفي بروفنسال ،ط 3 ، دار الثقافة، بيروت ، 1983م ، ج1 ، ص 72.

[7]- ابن الأثير ، المصدر السابق ،ج 5 ، ص 46 ، ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 195.

[8] - الإمامة عند الإباضية أربعة و تعرف عندهم بمسالك الدين و هي :

- إمامة الظهور: هي واجبة عندما تتوفر شروطها و هي أن يكون الإباضية أقوى من غيرهم و أحسن من مثلها عبد الرحمن بن رستم.

- إمامة الدفاع : هي مرحلة ما بين الظهور و الكتمان إذا كان الإباضية في طور الكتمان و داهمهم العدو ، وجب إعلان حالة الدفاع عن أنفسهم وعقد الإمامة لمن يستحقها و له الصلاحيات لإمام الظهور إلا أن إمامته تزول بزوال الخطر الداهم ، أحسن من مثلها أبو حاتم الملزوزي.

- إمامة الشراة : هي أن يخرج الإمام بأربعين رجل فما فوق يبايعونه على الجهاد في سبيل الله .

- إمامة الكتمان : هي مرحلة الضعف بحيث يركنون إلى السرية و استعمال التقية و يعقدون لإمام عليهم مثل : أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة عدون جهلان ، الفكر السياسي عند الإباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف أطفيش ،د.ط ، مكتبة الضامري ،بيروت ، د.ت ،ص 84،85 ، 88،90.

ليتولي أبو حاتم إمامة الدفاع[1] ، وظل متسترا طيلة أربع سنوات قضاها في لم شمل جماعات الإباضية و كان أيضا خلالها يرسل الصدقات إلى عبد الرحمن بن رستم ، الذي يعد العدة لقيام الدولة الإباضية في المغرب الأوسط[2] و قد استطاع أبو حاتم أن ينتصر بادئ الأمر على جيوش الولاة العباسيين فدخل القيروان و قتل عاملها عمر بن حفص سنة 154هـ/771م ثم غادرها متجها إلى طرابلس لمواجهة يزيد بن حاتم لكن في الأخير قتل أبو حاتم إمام الإباضية سنة 155هـ/772م[3] ، و بذلك انتهت ثورات الإباضية في شكلها الشامل و المنظم وتصدعت حركتهم في المغرب الأدنى و إفريقية ، بينما نجح عبد الرحمن بن رستم بمؤازرة إباضية المغرب الأوسط ، الذين كانوا في حاجة ماسة إلى كيان سياسي و جغرافي يجمعهم[4] .

نزل عبد الرحمن بن رستم على قبيلة لماية[5] ، بناءا على اتفاق مسبق كان قائما بينه و بينهم و ذكر ابن خلدون ذلك في قوله :"فتوجهوا إلى قبيلة لماية البترية ، و ذلك لحلف قديم بينه و بينهم"[6] ، و ما يمكن استنتاجه أن الدعوة الإباضية وصلت إلى المنطقة مبكرا ذلك ما جعل عبد الرحمن بن رستم يختار منطقة تيهرت القديمة[7] ، دون غيرها لبناء دولته و تشييد مدينته و اختياره لهذا الموضع لم يكن من باب الصدفة إنما هو نابع عن دراية ومعرفة مسبقة[8] .

و قبل التطرق لمميزات الموقع الذي اختاره عبد الرحمن بن رستم ، وجب الإلمام بهذه الشخصية و معرفة ظروف توليته الإمامة ، و في هذا الصدد يذكر ابن الصغير : " هذا عبد الرحمن بن رستم لا قبيلة له يشرف بها و لا عشيرة له تحميه و قد كان الإمام أبو الخطاب رضي لكم عبد الرحمن قاضيا و ناظرا فقلدوه أموركم فإن عمل فذلك الذي أردتم وإن سار

---

(1)- محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص 89، 90.

(2)- الحريري ، المرجع السابق ، ص 92.

(3)- الرقيق القيرواني ، تاريخ إفريقية و المغرب ، تق و تح و تع محمد زينهم حمد عزب ،ط1 ، دار الفرجاني ،تونس ، 1994م ، ص 92،91.

(4)- محمود إسماعيل ، المرجع السابق ، ص 95.

(5)- لماية :هم بطون فاتن بن تمصيت أخوة مطغرة ، و لهم بطون كثيرة ، فكانوا طواغن بإفريقية و المغرب ، و لما انتشر أمر الخوارج أخذوا برأي الإباضية و دانوا به و انتحلوه ، ابن خلدون ، المصدر السابق ، ج6 ، ص 143.

(6)- المصدر نفسه، ج6 ، ص 106.

(7)- يذكر سعد زغلول في كتابه الذي اعتمدنا عليه أنها تيهرت القديمة،على اعتبار أن تيهرت العاصمة لم تبن بعد ، زغلول ، المرجع السابق، ص 374.

(8)- عبد الحفيظ حيمي ، "تاقدمت تاريخ و معالم "، المجلة الخلدونية ، ع . أكتوبر 2009م ، ص 231.

فيكم بغير العدل عزلتموه ، و لم تكن له قبيلة تمنعه و لا عشيرة تدفع عنه"[1] ، ما يتوضح لنا من هذا القول أن رؤساء الإباضية عقدوا مجلسا ، متطلعين إلى شخصية فريدة ترأسهم و بعد نقاش و أخذ و رد اتفقوا أخيرا على عبد الرحمن بن رستم و هكذا تمت مبايعته بالإمامة وإعلان[2] قيام الدولة الإباضية الرستمية ، حيث يسجل الدرجيني سنة 160هـ/776م تاريخا لهذه البيعة ثم يذكر مرة أخرى أنها كانت 162هـ/778م[3] .

و لكن تاريخ 161هـ/777م هو الراجح لأن ابن عذاري يجعل تأسيس تيهرت في هذه سنة و بناؤها كان بعد تقديم عبد الرحمن بن رستم للإمامة و مبايعته[4] كما يذكر كل من البكري[5] و ابن الصغير[6] .

بالإضافة للخبرة السياسية و العسكرية لعبد الرحمن بن رستم إلا أن هناك أسباب أخرى جعلت رؤساء الإباضية يختارونه إماما لهم و يمكن اختصارها في أربعة أسس و هي:

الفضل : عند الإباضية جماع صفات الكمال الأخلاقي من حيث سلامة الإعتقاد و صحة الجوارح و نزاهة النفس.

العلم : العلم الكامل بالإسلام و علومه شرط أساسي عند الإباضية .

الوصية : يوصي الإمام القائم بمكن يخلفه و لا تكون هذه الوصية فرضا ملزما للإتباع وكان الإباضية يميلون لإتباع ما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ألا يكون الإمام من عصبية تؤيده : بحيث لا يعتمد على تلك العصبية في فرض سلطانه على الناس[7].

لم يكن عبد الرحمن بن رستم متسرعا و لا متعطشا للسلطة بل كان متريثا زاهدا في المسؤولية لمعرفته بجسامة الأمانة التي حملوه إياها[8] فيذكر ابن الصغير في هذا الصدد : " نحن الآن نرضى بك و نقدمك على أنفسنا "[9] ، فبايعوه على الإمامة بكتاب الله و سنة

---

(1)- ابن الصغير المالكي ،أخبار الأئمة الرستميين ، تح و تع محمد ناصر و إبراهيم بحاز ،د.ط ،دار الغرب الإسلامي، لبنان ، 1976م، ص 29.
(2)- الدرجيني ، المصدر السابق ، ج1، ص 23.
(3)- المصدر نفسه ، ص 25.
(4)- ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج 1 ، ص 196.
(5)- البكري ، المصدر السابق ، ص 68 .
(6)- ابن الصغير ، المصدر السابق ، ص 30.
(7)- أحمد بوزيان ، تيهرت عاصمة الدولة في عهد الرستمين، د.ط ، دار الهدى للطباعة و النشر، الجزائر، د.ت ، ص 25.
(8)- المرجع نفسه ، ص 26.
(9)- ابن الصغير ، المصدر السابق ، ص 30.

رسول الله - صلى الله عليه وسلم - و آثار الخلفاء الراشدين فأحسن السيرة في إمامته و لم ينقم عليه أحد في حكومته[1] .

بعد أن تم الأمر لعبد الرحمن بن رستم ، و جمع شمل الإباضية شرع في البدء بالبحث عن المكان المناسب لتأسيس دولته ، لكنهم تريثوا في اختيار الموضع ، و قد استعانوا بأهل العلم و الخبرة بالأرض ، فحرصوا على إقامتهم في مكان جيد الهواء ، كثير المياه ، خصب الأرض ، قابل للعمارة ، مأمون من العدو[2] ، و في أخير أجمعت أراءهم على استحسان موضع تيهرت[3] الذي يبعد بحوالي خمسة أميال من تيهرت القديمة[4] ، بعد اختيار المكان شرع في تخطيط مدينة تيهرت الجديدة ، و تم ذلك على النحو الذي اتبع فيه بناء المدن الإسلامية الكبرى ، بحيث تساعد على انصهار أفراد المجتمع و امتزاجهم و عدم التفرقة بين عناصرهم فكان المسجد الجامع وسط المدينة و انتشرت حوله الدور و لاحقا مع التطور الذي شهدته تيهرت ، بنيت القصور و الحمامات و شاعت الأسواق و تفنن أهلها تدريجيا في عمارتها و تنظيمها[5] وأحاطوا المدينة بعد ذلك بسور محكم مشيد من الصخر[6]، و بالتالي أصبحت المدينة في أمد وجيز عامرة ، تجارتها زاهرة و قومها مياسير و قصدها الناس من كل الأقطار الإسلامية و انتجعوها من كل مكان فازدهرت اقتصاديا وتألقت الحضارة فيها[7] وصفها المؤرخون و الجغرافيون بمختلف الأوصاف ،فالبكري قال عنها: "مدينة تيهرت لها أربعة أبواب : باب الصفا ، و باب المنازل ، باب الأندلس و باب المطاحن وهي في سفح جبل يقال له جزول ، و لها قصبة على السوق تسمى المعصومة ، و هي على نهر يأتيها من جهة القبلة يسمى مينة ، و هو في قبليها ، ونهرآخر يجري من عيون تجتمع يسمى تاتش

---

(1)- الدرجيني ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 24.
(2)- محمود إسماعيل ، المرجع السابق ، ص 110.
(3)- تيهرت : هناك من يكتب مكان الياء ألف (تاهرت) ، هذا ما يراه بجاز إبراهيم خطأ و الصواب تيهرت على اعتبار أن الكلمة حرفت مع مرور الزمن و يذكرها بذلك الرقيق القيرواني و ابن عذاري ، ينظر إبراهيم بحاز ، المرجع السابق ، ص 86.
(4)- البكري ، المصدر السابق ، ص 68.
(5)- أبو الربيع سليمان الباروني ، الأزهار الرياضية في أئمة و ملوك الإباضية ،د.ط ، مطبعة الأزهار الرياضية ،مصر ، د.ت ، ج2 ، ص 08.
(6)- مؤلف مجهول ، الاستبصار في عجائب الأمصار ، تح م .الفراد ،د.ط ، المطبعة الإمبريالية الملكية ،فيينا ، 1852 م ، ص 66.
(7)- سالم عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 542.

و منه شرب أهلها و أرضها ، و هو في شرقيها، و فيها جميع الثمار ، وهي شديدة البرد كثيرة الغيوم و الثلج"[1] .

أما المقدسي فيصفها بقوله :"هي اسم القصبة، أيضا هي بلخ المغرب ، قد أحدق بها الأنهار و التفت بها الأشجار و غابت في البساتين ... انتعش فيها الغريب ، و استطالها اللبيب ، يفضلونها على دمشق و أخطئوا و على قرطبة و ما أظنهم أصابوا ، هو بلد كبير كثير الخير، رحب ،رفق ، طيب ، رشيق الأسواق غزير الماء جيد الأهل..."[2] .

على كل كشف عبد الرحمن باختياره موقع تيهرت ، عن المهارة الفائقة التي تحلى بها الإباضية في اختيار المراكز الصالحة لبناء المدن ، و حرصهم على توفير أسباب البقاء لها اقتصاديا و حربيا و سياسيا[3] ، كما نجحوا في خلق حياة جيدة لدولة أصبحت القطب الذي تجمع عليه الإباضيون و كانت بمثابة تحد للقيروان و الخلافة العباسية في الشرق حيث أصبحت هذه الدولة قوية مستقرة داخليا[4] و مهابة خارجيا ، فدعمت أوتادها ، و هاجر إليها الكثيرون من أهل المشرق و المغرب و الأندلس[5] فكان لذلك أثره في ازدهار و نمو تجارتها و اتساع مواردها الاقتصادية منذ قيامها لغاية سقوطها و هذا ما سنكشف الستار عنه في بحثنا هذا.

أما حدود الدولة الجغرافية فكانت غير ثابتة و لا ظاهرة المعالم واقعة بين الأغالبة شرقا و الأدارسة غربا ، أما شمالا تحدها الإمارات العلوية و ينفتح المجال لها جنوبا على ورجلان و يمتد منها شريط إلى واد ريغ إلى الجريد و جبال تدمر على طرابلس و جبال نفوسة[6]

---

(1)- البكري ، المصدر السابق ، ص66 .

(2)- أبو عبد الله شمس الدين محمد المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ،د. ط ،مطبعة بريل ، ليدن،1877م ، ص338.

(3)- محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، ط1 ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ،القاهرة ،1963م ، ج3، ص225.

(4)- عرفت الدولة الرستمية هذا الهدوء و الأمان على عهد عبد الرحمن بن رستم و بوفاته دخلت عهدا جديدا من التصدع خاصة في أواخر عهدها شهدت سلسلة من الاضطرابات الداخلية اتخذت شكل الانشقاق المذهبي و الصراع القبلي و العنصري و التناحر الأسري و الطائفي ، ينظر عبد الكريم يوسف جودت ، الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث و الرابع هجريين(9-10م) ،د.ط ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،د.ت ، ص 70 ، الحريري ، المرجع السابق ، ص - ص،13-19.

(5)- عن الأئمة الرستميين ينظر الملحق رقم 01 .

(6)- جبال نفوسة : واقعة بين طرابلس الغرب بليبيا ، تبعد عن تيهرت بحوالي ستة و خمسون مرحلة، ينظر أبو القاسم عبد الله ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ،د.ط ، مطبعة بريل ، ليدن ،1989م ، ص34.

وعليه تيهرت تتوسط التل و الصحراء[1] و أحيانا تمتد جذورها و يتسع نفوذها على حساب جيرانها غربا حتى تلمسان و شرقا على طرابلس.

[1]- رابح بونار، المغرب العربي تاريخه و ثقافته ،ط3 ، دار الهدى، الجزائر ، د. ت ، ص 27 ، عن موقع الدولة الرستمية ينظر الملحق رقم 04.

الفصل الأول :

عوامل إزدهار التجارة الرستمية

1- الزراعة :

1- 1 الزراعة و ازدهارها :

عرف ابن خلدون الزراعة و الفلاحة بقوله : "هذه الصناعة من فروع الطبيعيات و هي في النبات من حيث تنميته و نشوئه بالسقي و العلاج و تعهده بمثل ذلك"[1] . إذن الفلاحة علم و هي من الفروع و الطبيعيات ، كما أنها النظر في النبات من حيث تنميته بالسقي و استجادة المنبت ، و صلاحية الفصل ، و تعاهده بما تصلحه و ينمه[2]. و من جملة ما ذكره القرآن الكريم حول استغلال الأرض قوله تعالى :﴿ **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً**﴾[3] وقوله تعالى:﴿**وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾[4] ، فالزراعة شأنها شأن كل نشاط يعود بالفائدة على الإنسان، بعد الأوضاع المتدهورة التي عرفها المغرب نتيجة تجاوزات بعض الولاة خاصة مع آثار ثورات الخوارج[5]،دخلت البلاد مرحلة جديدة عرفت قيام دويلات مستقلة[6] و شهد المغرب الأوسط انتعاشا اقتصاديا ملحوظا على يد الرستميون[7] ،لا سيما نهاية القرن الثاني و أوائل القرن الثالث للهجرة،فعدت مرحلة استقرار و هدوء للدولة الرستمية ما أدى إلى ازدهار الزراعة[8] زد على ذلك امتلاكها لأراضي زراعية واسعة وكذا وديان ومجاري مياه كانت تحيط بالعاصمة تيهرت ، فتيهرت تقع بين نهرين عظيمين ، نهر مينه ونهر آخر يجري إليها من عيون تتجمع تسمى تاتش[9] و هذان النهران يصبان في وادي ينبع من عين بجبل سوفجج و يتجه هذا الوادي نحو الشرق فيلتقي بوادي الفرعة و بوادي آخر يسمى وادي الوحش و من ذلك كله يتألف واد يمر بجنوبي مدينة الشلالة

---

(1)-عبد الرحمن بن محمد أبو زيد ابن خلدون ، المقدمة ، شرح و تق محمد إسكندراني ،د. ط ، الكتاب العربي ،بيروت ،2006 م ، ص 456.

(2)- إسماعيل سامعي ، معالم الحضارة العربية الإسلامية ،د. ط ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ، 2007م ، ص 267.

(3)- سورة البقرة ، الآية 22.

(4)- سورة المزمل ، الآية 20.

(5)- حسين مؤنس ، معالم تاريخ المغرب و الأندلس ،د. ط ، دار رشاد ،مصر، 2004م ، ص 69 ، 70 ، عبد العزيز الثعالبي ، تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية ، جمع و تح أحمد بن ميلاد و محمد إدريس ، تق و مرا حمادي الساحلي ،ط2، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ، 1990م ، ص 131، كارل بروكلمان ،تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، ط5 ، دار علم للملايين ، بيروت ،1968م ، ص316.

(6)- الدول المستقلة هي : دولة بني مدرار الصفرية ، الدولة الرستمية الإباضية ، الدولة الإدريسية ، و الأغالبة الموالين للسلطة العباسية ، محمود إسماعيل ، المرجع السابق ، ص 112 ، 144.

(7)- الحريري ، المرجع السابق ، ص 230.

(8)- جودت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص 102.

(9)- البكري ، المصدر السابق ، ص 66.

ويلتقي بوادي سوفجج من الشمال واد آخر يسمى قسني[1] ، و يضاف إلى مجموع هذه الوديان الوفيرة المياه المتجمعة من الأمطار الغزيرة[2] التي كان لها أثر كبير في تكوين السهول الخصبة ، كما عمد الرستميون إلى شق القنوات و اعتنوا أيما اعتناء بها ليوصلوا المياه إلى البساتين و المزارع وحتى المنازل[3] ، أماعن السياسة المتبعة من طرف حكام الدولة للنهوض بالمجال الزراعي فإن الرستميون لم يفرضوا ضرائب على الناس إلا ما أمر الله به و أوجبه ، فإن قلة الضرائب مع ضمان تحصيلها خير من كثرتها مع عجز الوفاء بها وعلى هذه القاعدة سارت الدولة الرستمية ، وابن الصغير يوضح لنا أن جبايتهم اقتصرت على الصدقة[4] و الخراج[5] و الجزية[6] ،و إذا فضل منها مال بعد دفع الرواتب صرف في مصالح المسلمين حتى يتمكنوا من إحياء أرض الموات وغرس البساتين و إجراء الأنهر و اتخاذ الأرحية و المستغلات[7].

و قد خدمت التجارة الزراعة ، لأن الفلاحين أصبحوا لا ينتجون للاستهلاك المحلي فحسب بل و للتصدير أيضا ، كما أن فتح الأبواب أمام الناس على اختلاف مذاهبهم و أجناسهم أثر قدما في ازدهار الزراعة[8] و هكذا ظهرت تيهرت في عهد اليعقوبي "جليلة المقدار عظيمة الأمر"[9].

و عليه ارتقت تيهرت وأصبحت مقرا للحياة الاقتصادية مزدهرة فيذكر ابن الصغير أن نمو المدينة كان سريعا في إمامة عبد الرحمن بن رستم و حتى الإمام أفلح حيث قال :" كان

---

(1)- سالم عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 576.

(2)- ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 198.

(3)- ابن الصغير ، المصدر السابق ، ص 35.

(4) - الصدقة و الزكاة :لفظتان مترادفتان ،كلاهما يؤخذ من الأغنياء و يفرق على الفقراء و للمصطلحين معنا واحد ثم اختلف استعمالهما بعض الشيء من طرف العلماء و الفقهاء و مالهما حق واضح صريح فالزكاة ركن من أركان الإسلام و لا يخفى دورها الاقتصادي ، زيدان جرجي ، تاريخ التمدن الإسلامي،د.ط ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د.ت ، ج1 ، ص 116.

(5)- الخراج : نظام ضريبي يفرض على أرض زراعية تسمى أرض الخراج ، و يؤخذ من المسلمين و غير المسلمين خاصة من أراضي القبائل المناوئة ، ينظر محمد ضياء الدين الريس ، الخراج و النظم المالية للدولة الإسلامية ،ط4 ، القاهرة ، 1977 م، ص 24.

(6)- الجزية : توضع على الذمي و تسمى أيضا بخراج الرأس ، تسقط بالإسلام ، ينظر أحمد الشرباصي ، المعجم الاقتصادي الإسلامي ،د.ط ، دار الجيل ، بيروت ، 1981 م ، ص 95 .

(7)- ابن الصغير ،المصدر السابق ، ص 41.

(8)- جودت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص 30.

(9)- أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر اليعقوبي،البلدان،وضع حواشيه محمد أمين الصناوي،ط1، دارالكتب العلمية، بيروت،2002م ، ص 13.

أفلح قد عمر في عمرانه ما لم يعمر أحد قبله ،فأطعم فيها أيام الجفاف ، وعم الرخاء في عصره ،و كثرت الأموال و المستغلات ... حتى ابتنى الضياع خارج المدينة و أجروا الأنهار"[1] ، و يضيف ابن عذاري أنه كانت حولها البساتين و بها من كل أنواع الثمر كثيرة الأشجار[2]. و لم يقتصر الرستميون على زراعة البساتين و الأشجار المختلفة و إنما أيضا تميزت المناطق الزراعية الواسعة بزراعة الحبوب و ما دل على ذلك ذكر البكري إحدى أبواب تيهرت يسمى باب المطاحن[3] لطحن الحبوب و قد اشتهرت بلاد المغرب الأوسط بمحاصيلها الزراعية المتنوعة و الوفيرة .

2-1 أهم المنتوجات الزراعية:

1-2-1 القمح والشعير :

كانت أكثر الزراعات المنتشرة لأنها المادة الغذائية الرئيسية و منها كان الخبز ، كما أنها لا تحتاج إلى أمطار غزيرة و لا تتطلب الري بشكل كبير و لعل ما جعل زراعتها بكثرة إمكانية تخزينها حيث أن مدة التخزين كانت تتجاوز مئة سنة في المطامير[4] تحت الأرض .

و يصف لنا الدرجيني وقت الحصاد فيقول :"فإذا قدم وقت الحصاد و حصد الناس زرعهم و لقط اللاقاطون السنابل"[5] .

2-2-1 البقول :

كانت هذه المزروعات وفيرة ، نجد منها اللفت و الفجل و الكراث يضاف إليها من الخضار الخيار ، اللوبياء ، البصل ، الكرنب ، الجزر و غيرها[6].

3-2-1 الفواكه :

كانت توجد بتيهرت فواكه مختلفة مثل الرمان و العنب و لعل أهمها و أشهرها السفرجل الذي قيل أنه تفوق على سفرجل سائر الأقطار[7] ، فالبكري يقول :"و سفرجلها يفوق سفرجل الآفاق حسنا و طعما و مشما ، و سفرجلها يسمى بالفارس"[8].

---

(1)- ابن الصغير ، المصدر السابق ، ص 61.
(2)- ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 198.
(3)- البكري ، المصدر السابق ، ص 66.
(4)- هي أجواف عميقة تحت الأرض تخزن فيها الحبوب ، ينظر جودت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص 41.
(5)- الدرجيني ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 293.
(6)- جودت عبد الكريم، مرجع سابق، ص 42.
(7)- دبوز علي ، مرجع سابق ، ج3، ص
(8)- البكري ، المصدر السابق ، ص 67.

4-2-1 الزيتون:

شجرة مباركة ذكرت في القرآن الكريم ، **قال تعالى:﴿ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾**[1] و تعتبر من الأشجار الضرورية لتعدد فوائدها لاسيما زيتها الذي يستخدم للعلاج[2] ، و يحفظ في القلال أو زقاق من جلود الأغنام[3] ، و لعل زيتون تيغرميت بجبل نفوسة مشهور فأهل الجبل اشتغلوا بزراعة الزيتون و الكروم[4].

و قد أشار ابن الصغير إلى وجود الزيت في تيهرت فذكر أن الإمام عبد الرحمن بن رستم اشترى زيتا ووزعه على الفقراء[5]، أما المقدسي فذكر من قرى تيهرت "الزيتونة" التي تكون حملت هذا الاسم من غيابها وسط أشجار الزيتون[6].

5-2-1 التمور:

اهتم الرستميون بزراعتها ، فهي طعام يبقى طول أيام السنة ، وزاد المرتحل ، فأصحاب جبل نفوسة زرعوا النخيل ، و أيضا نشطت زراعته في الواحات و المدن الصحراوية فاشتهرت واحات ورجلان[7] بغابات النخيل الواسعة ، و بلاد الجريد[8] ، وذكر ابن الصغير أن منزل محمد بن حماد : "قد جمع الأشجار و الأنهار ، و المزارع والنخل"[9]

3-1 الغابات :

الغابات عنصر أساسي في بناء القرى أو المدن ، لذا كانت منتشرة في جميع الجهات فتيهرت عند بنائها توسطت الغابات الكثيفة ، و اشتملت الغابات على مختلف أنواع الأشجارالبرية مثل : الصنوبر ، البلوط ،العرعار و غيرها[10] ، بالإضافة إلى عدة نباتات نميز منها نوعان :

---

(1)- سورة النور ، الآية 35.

(2)- جودت عبد الكريم، المرجع السابق ، ص 46.

(3)- بحاز إبراهيم ، المرجع السابق ، ص 149 ، أما الدرجيني يذكر أن الزيت كان يحفظ في الخوابي ، ينظر الدرجيني ، المصدر السابق،ج1 ، ص164.

(4)- أبو القاسم ابن حوقل النصيبي ، صورة الأرض ،د.ط ، مكتبة الحياة ، بيروت ، 1992م ، ص 92 .

(5)- ابن الصغير ، المصدر السابق ، ص 41.

(6)- المقدسي ،المصدر السابق ، ص 56.

(7)- ورجلان: كورة بين إفريقية و بلاد الجريد ضاربة في البر كثيرة النخل و الخيرات ، ينظر شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، د.ط ، دار صادر، بيروت ، 1977 م ، م 5 ، ص 371.

(8)- بلاد الجريد :سميت بذلك لكثرة النخيل بها ، عمائر متصلة كثيرة الخصب و التمر و الزيتون و الفواكه و جميع الخيرات و هي في آخر بلاد إفريقية على طرف الصحراء ، مجهول ، الاستبصار ، ص 36.

(9)- ابن الصغير ، المصدر السابق ، ص 106.

(10)- جودت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص 49.

1-3-1 نباتات طبية:

كانت تنمو بكثرة، تستعمل لأغراض طبية و نذكر من هذه النباتات على سبيل المثال : الشيح نبات دقيق الثمرة طعمه مر ، يستعمل لقتل الديدان و خاصة دود البطن .

حب الأثل يعرف بالفارسية كارماك ينفع لأمراض الكبد و وجع الأسنان و يستعمل في الدباغة.

كما توجد نباتات سامة تستعمل في قتل الحيوان المتوحشة مثل: خمالان مالس و يعرف بالوحيد[1].

2-3-1 نباتات صناعية :

استعملت عدة نباتات في صناعات كثيرة، و هنا نلمس دعم الإنتاج الزراعي للصناعة فالكتان مثلا كانت زراعته واسعة ، يستعل في صناعة الملابس و في العلاج خاصة القروح[2] بالإضافة للحلفاء و الحناء و غيرها.

و هناك نباتات، دخيلة على المنطقة مثل: القطن الذي أصله من الهند [3] و قصب السكر الذي نقل العرب زراعته إلى بلاد المغرب و الأندلس[4] و غيرها من النباتات.

4-1 تربية المواشي:

قال الله تعالى: ﴿ **وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ**﴾ [5] على ضوء الآية الكريمة يمكن استخلاص منافع عديدة لتربية المواشي .

حيث أن انتشار مجالات زراعية واسعة في الدولة الرستمية أدى بالضرورة إلى إنتشار نطاقات رعوية ، فتربية الماشية سارت جنبا إلى جنب مع الزراعة فكلاهما يهدف إلى تدعيم إقتصاد الدولة و الثروة الحيوانية كانت وفيرة ملأت الأسواق حتى أن ابن حوقل تحدث عن الوفرة الإنتاجية التي تتعلق بهذه المراعي فقال أن تيهرت :"أحد معادن الدواب و الماشية و الغنم و البغال و البراذين و الفراهية و يكثر عندهم العسل و السمن و ضروب

---

(1)- جودت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص 50.
(2)- ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 85.
(3)- جودت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص 53.
(4)- البكري ، المصدر السابق ، ص 59 ، ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 35.
(5)- سورة النحل ، الآية 05.

الغلات"[1] ، و قد اهتم الرستميون بهذا النشاط أيما اهتمام فوصف اليعقوبي بعض المناطق الرستمية بقوله :"بلد زرع و ضرع"[2] و استعملت المواشي في أمور شتى ، فاستفادوا من حليبها و لحومها ، أما جلودها فاستعملت في صناعة القرب و أوبارها في صناعة الملابس و الخيام و الأغطية و اعتمدت أيضا كوسائل للتنقل، لاسيما في الحرب و أكثر من ذلك اعتبرت مالا[3] ودفعت كمهر.

الخيول مثلت أهم الحيوانات و يذكر أن فرس يعقوب بن أفلح ضرب به المثل في المغرب لما فيه من صفات الهيبة و الحرب بالإضافة للأغنام و الأبقار و الإبل التي أشار ابن الصغير إلى وجودها[4] و أيضا النحل و تربيته نظرا لأهمية العسل في علاج الأمراض و استخدامه في صناعة الحلويات[5] ، و قد أشار ابن حوقل إلى تواجده بتيهرت فذكر أن أهلها : "يكثر عندهم العسل"[6].

أما إبراهيم بحاز يورد لنا إحصاء لأنعام أحد الملاك بالدولة الرستمية دلالة على وفرة هذا الإنتاج فيقول :"...و قد كان فيها بن زلغين يملك ثلاثين ألف ناقة و ثلاثمئة ألف شاة واثني عشر ألف حمار و كان رعاته من العبيد"[7] ، و ما دل على ذلك قول الإمام عبد الوهاب: " لولا أنا و محمد بن جرين و ابن زلغين في الأنعام..."[8].

5-1 نظام الرعي:

إذا كانت المدن الرستمية تموج بالمواشي فكان غالبية أهلها يشتغلون بالرعي[9] في جبل نفوسة كان الرعي هو الحرفة السائدة بين سكانه لاسيما على عهد العامل أبو منصور[10] و لم يقتصر الرعي على القبائل المتنقلة بل تعداها بحكم وفرة المراعي الصالحة التي هي ملك للحكام و الأئمة الرستمين و نجد من الملاك الإمام أبي اليقظان والإمام أبي حاتم اللذان ملكا الكثير من الدواب و المواشي.

---

(1)- ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 86.
(2)- اليعقوبي ، المصدر السابق ، ص 104.
(3)- بحاز إبراهيم ، المرجع السابق ، ص 65.
(4)- ابن الصغير ، المصر السابق ، ص 41 ، 88.
(5)- جودت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص 86.
(6)- ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 327.
(7)- بحاز إبراهيم ، المرجع السابق ، ص 165.
(8)- المرجع نفسه ، ص 161 ، إن وجود مثل هذا المالك في الدولة الرستمية لدليل على وجود طبقية واضحة في المجتمع منافية لمبادئ العدل المساواة التي جاء بها الإباضية .
(9)- بونار رابح ، المرجع السابق ، ص 43.
(10)- الدرجيني ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 33.

كان يتولى صاحب المواشي مهمة الخروج بها إلى المراعي وقد يمكث هناك بعض النهار أو النهار كله ثم يعود بها عند الغروب وفي أحيان أخرى كان صاحب الحيوانات يكلف أجيرا راعيا وبإمكانه (أي الأجير) أن يصطحب معه حيواناته الخاصة[1]، ويمكن أن تكون المراعي خاصة ، فيرسل مالك الأرض حيواناته لترعى في أرضه وقد تكون عامة مشاعة والغالب في الأمر أن تعهد القبيلة أو مجموعة من السكان إلى راع مسؤول يساعده عدد من الرعاة وهم على معرفة ودراية عامة بالمراعي وهذا النظام يسمى " المشتى" و على أصحاب الأغنام أن يسموها للتمييز بينها و معرفتها[2] ، كانت قطعان الغنم والجمال كثيرة يتنقل وراءها البدو صيفا نحو الشمال ويرجعون إلى الصحراء في الشتاء ، عندما تكثر الأمطار والثلوج التي تؤثر سلبا على الماشية[3] .

يتبين لنا مما سبق أن الدولة الرستمية عرفت تطورا وازدهارا في مجال الزراعة وقد ساعد على ذلك تظافر عوامل عدة ، سمحت بإنتاج وفير زراعي وحيواني ، مختلف انتشر في ربوع الدولة ، لكن بالمقابل هناك عوامل عرقلت تقدم الزراعة ومنها :

- الأزمات الطبيعية المتمثلة في القحط و البرد و الثلج و الرياح و الجراد و الوباء والفيضانات و غيرها[4] ، ذكر اليعقوبي بخصوص تيهرت أنه :"لم يجدب زرع ذلك البلد قط إلا أن يصيبه ريح أو برد"[5] ، يقول بكر بن حماد عن برد وثلج تيهرت :

ما أخشن البرد وريعانــه	وأطرب الشمس بتـــــاهرت
تبدو من الغيم إذا ما بدت	كأنـها تنشــر من تخـــــــت
فنحن في بحـر بلا لجـــة	تجـرى بنا الريح على السمـــت
تفرح بالشمـس إذا بـدت	كفرحـة الذمـــــي بالسبـــــت[6].

- و رغم هذه العوامل المثبطة للنشاط الزراعي ، إلا أننا رأينا ازدهارا لهذا المجال الذي أثر بدوره في الصناعة و التجارة .

---

(1)- جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 71.
(2)- المرجع نفسه، ص 72 .
(3) - بحاز إبراهيم ، المرجع السابق ، ص 157 ، شارل أندري جوليان ،تاريخ إفريقيا الشمالية ،تح محمد ميزالي و البشير بن سلامة، ط 2،التونسية للنشر، تونس، 1983 م ، ص 42 ،43 .
(4)- جودت عبد الكريم، المرجع السابق. ص 71.
(5)- اليعقوبي ، المصدر السابق ، ص 13.
(6)- المصدر نفسه ، ص 13.

2 - الصناعة :

2-1 الصناعة وازدهارها :

ازدهرت الصناعة في الدولة الرستمية ، فلبت حاجات أفراد المجتمع وانتشرت صناعات مختلفة ، ليتمكن الرستميون في فترة لاحقة من تصدير بعض صناعاتهم ، ويعود سبب ذلك كله لمجموعة من العوامل ساعدت على ذلك الازدهار ونذكر منها :

- اتساع العمران والمدن حتى قاربت تيهرت،دمشق وقرطبة ، حسب وصف المقدسي وذكر ابن خلدون أنها :" تمددت واتسعت خطتها "[1]،إن هذا الاتساع العمراني صاحبه ازدياد في الطلب على السلع مما انعكس إيجابا على الصناعة خاصة مع توفر القدرة الشرائية [2]

- توفر مواد الخام ، ذكرنا سابقا توفر الإنتاج النباتي والحيواني فقد قامت الصناعة على هذين المجالين بالإضافة لتوفر بعض المعادن والتي سمحت بقيام صناعة معدنية ، حيث توفر الحديد في جبل أزرو[3] والزئبق أيضا[4] ، عموما تزخر المنطقة بوفرة هذه المعادن و على قدر توفرها لم يذكرالرحالة و لا الجغرافيون كمية الإنتاج ،وهل كانت كافية لسد الحاجات المحلية ؟ و رغم ذلك قامت صناعة تسد الطلب المحلي.

- نشاط الحركة التجارية حيث سارت القوافل محملة بالسلع والبضائع في جميع الاتجاهات[5] وهذا ينعكس على الصناعة أي أن تصريف السلع يعني صناعة سلع جديدة في حين أن كسادها يعني توقف الحركة الصناعية[6] .

- اهتمام الأئمة الرستميون بالمقومات الأساسية للنهوض بالصناعة وفي مقدمتها الضرائب ، فكما ذكرنا سابقا و أجمع المؤرخون على أن حكام الدولة لم يفرضوا ضرائب غير شرعية [7] وانطبق الحال على الصناع ، فلم يثقلوا كاهلهم بضرائب تعوقهم وقد تجعلهم يصدون عن هذا المجال ، كما أنهم نظموا الأسواق ، وأفردوا لكل صنعة سوقا ، منذ عهد الإمام عبد الرحمن بن رستم فبما أنه تولى ولاية القيروان قبلا كان قد نقل ما رآه من

---

[1]- ابن خلدون ، العبر ، ج 6 ، ص 247 .

[2]- جودت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص 84 .

[3]- جبل أزرو: يذكره صاحب الاستبصار بجبل أسرو هو جبل خصيب فيه مدن كثيرة ، ينظرمجهول ، الاستبصار ، ص 52 .

[4]- الحريري، المرجع السابق ،ص 232 .

[5]- عن الطرق التجارية والقوافل ينظر الفصل الثاني ، المبحث الثاني ، ص 43-50.

[6]- جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 85 .

[7]- هي ضرائب لم يقرها الشرع ، ولم تذكر لنا المصادر أو المراجع ما إذا كانت مفروضة قبل الرسميين ، ومنها المكوس التي كانت توضع على كل ما يباع ويشترى من مصنوعات لا سيما المستوردة ، ينظر المقدسي ، المصدر السابق ، ص 108 .

تنظيمات بها إلى مدينته ، يمكن أن نضيف إلى رصيد خبرته رحلته في طلب العلم إلى بلاد المشرق فلابد أن يكون الإمام قد تأثر بما وجده هناك من تطور في هذا المجال و طبقه في دولته ، وهذا التنظيم سهل مهمة المحتسب في مراقبة الصناع ، مما أدى إلى تشجيع الصناعة[1].

- بتظافر هذه العوامل قامت صناعة الرستميين وإن عدت مزدهرة ، إلا أنها لم ترق لازدهار المراكز الصناعية الشهيرة الكبرى في بلاد المشرق الإسلامي .

2-2 أهم الصناعات و المهن :

قبل التطرق لأهم الصناعات والمهن التي تواجدت في الدولة الرستمية سنعرج على التنظيم المهني أو الحرفي حيث وصف ابن الصغير الأنشطة المهنية بتيهرت على أنها حرف[2] وهذا دليل على وجود حرف يدوية بسيطة[3]، وبالتالي نشطت المهن والحرف[4] ومع التطور الحاصل تعددت واختلف الصناع بين البربر والفرس والعرب [5]،مما حتم وجود روابط من نوع خاص بينهم على قدر اختلاف صنائعهم ، ويدفع بعضهم بعض على اعتبار وحدة المصالح [6]، و شعور الصانع أنه بحاجة إلى جماعة ينتمي إليها تساعده في توفير الأمن وغير ذلك.لكن هذا لا ينفي وجود خلاف أو نزاع فيما بينهم بسبب التنافس والنشاط الصناعي في حد ذاته الذي لم يكن على مستوى واحد نظرا لتعدد المستويات ، فهناك أنواع تسود المجتمع البدوي و مثلت بعض القرى مراكز صناعية أما المراكز الكبيرة هي المدن العديدة و أولها تيهرت، و مع التطور الذي شهدته تلك المدن انتقلت الصناعة من بدوية فردية إلى مدنية، إن مجموع المصادر لا يشير إلى وجود تنظيم حرفي في الدولة الرستمية إلا أن ابن الصغير يذكر الصناع والحرفيين كجماعة بارزة عند وفاة الإمام أبو يقظان فيقول:" لما مات أبو اليقظان قامت العوام وأهل الحرف ومن لف لفهم فقدموا أبو حاتم"[7] وفي هذه العبارة يتضح أن ابن الصغير قد فصل " أهل الحرف" عن العامة ، وجعلهم ممن كان لهم

---

(1)- جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 85، 86.
(2)- ابن الصغير ، المصدر السابق ، ص 102.
(3)- جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 77.
(4)- بونار رابح ، المرجع السابق ، ص 43 .
(5)- عثمان الكعاك ، موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي ، تق أبو القاسم سعد الله وآخرون ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 2001 م ، ص 123 .
(6) - جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 77 ، 78.
(7)- ابن الصغير ، المصدر السابق، ص 102.

وزن في أهل العقد والحل ، أما عن أهم الصناعات والمهن فقد تعددت داخل الدولة وحتى تطورت ونذكر منها :

2-2-1 صناعة النسيج:

تعتبر صناعة النسيج صناعة رئيسية في العصور الوسطى بسبب حاجة الناس إليها على اختلاف طبقاتهم ، وفي الدولة الرستمية كانت هذه الصناعة منتشرة نظرا لتوفر المواد اللازمة من الصوف والكتان والحرير وبذلك يتم إنتاج أنواع عديدة من الملابس والفرش[1] وما يفند ذلك ذكر ابن الصغير أن عبد الرحمن بن رستم كان يجمع الصدقات ويشتري بها أكسية وصوفا [2] ، ويلقب صاحب هذه الصنعة بالصواف[3] ، وقد ذكر محمود إسماعيل أن بنو رستم استفادوا من خبرة الفرس في هذا المجال[4] .

عرفت تيهرت **صناعة الخز**[5] ، وكان من أشهر صناعه والد " أحمد بن فتح " المعروف "بابن الخزاز التيهرتي" وكانت تصنع منه الجبة والقلنسوة اعتمادا على أدوات خاصة مثل المغازل[6] ويلقب صاحب هذه الصنعة بالخزاز .

عم البلاد رخاء اقتصادي مما غير من وجه الحياة البسيطة، خاصة عند أصحاب القصور فبحثوا عن التميز في الثياب والنسيج الملائم لحياتهم ذكر ابن الصغيرفي ذلك :" ما رأيت شرفة من القصرين إلاعليها ثوب أحمر وأصفر"[7] .

أما القطن عرفت تيهرت متخصصين في مثل هذا النسيج وكان منهم " أبو الفضل أحمد بن القاسم بن عبد الرحمان بن عبد الله التميمي البزاز التيهرتي"[8] ،إن وجود هذه الشخصية في تيهرت واتخاذها تجارة البز مهنة لها يكشف بوضوح عن وجود **صناعة قطنية** في تيهرت[9] وصاحبها يلقب بالقطان. نتج عن وفرة المواد الخام للنسيج بأنواعه ومواد الصباغة تقدم كبير في مجال المنسوجات فتفنن الرستميون في صناعتها وفي تزويقها و تزيينها بالرسوم والخطوط والألوان المختلفة وبالتالي قامت على صناعة النسيج صناعة

---

(1)- محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص 206.
(2)- ابن الصغير ، المصدر السابق ، ص 41.
(3) - جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 93 .
(4)- محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص 276.
(5)- هو نسيج من صوف وحرير كان قيما حتى عد خير صناعة .
(6)- جودت عبد الكريم، المرجع السابق ، ص 93 .
(7)- ابن الصغير، المصدر السابق ، ص 62.
(8)- أبو القاسم خلف بن عبد الملك القرطبي ابن بشكوال،الصلة،تح إبراهيم الأبياري،ط1 ،دارالكتاب اللبناني،بيروت،1989 م ، ج1، ص 140 .
(9)- جودت عبد الكريم ، المرجع السابق ،ص 95 .

أخرى وهي الصباغة[1]

2-2 -2 الصناعات المعدنية :

تنوعت مادتها وأماكنها وشكلت الركيزة الأساسية في الصناعة حيث ضمت العديد من الصناعات منها **الحديدية** التي تحتاج إلى مواد خام كالحديد ومادة الخشب اللذان يدخلان في صناعة الأسلحة وبناء البيوت ، فالإمام عبد الرحمن بن رستم ورغم بساطة عيشه لم يخل بيته من السيف[2] ، و الرستميون كانوا يتفننون في صناعة السيوف ، فقال الشاعر بكر ابن حماد في أبي العيش :"سائل زواغة عن طعان سيوفه ورماحه في العارض المتهلل "[3].

- أما **الصناعة الذهبية** كان الحصول على الذهب الخام أمرا متيسرا ، حيث كانت القوافل المتجهة إلى بلاد السودان الغربي[4] كفيلة بتوفيره وكان للذهب استعمالات متعددة فبالإضافة لصناعته نقودا دنانير، صنعت منه الحلي وبعض الأواني مثل الأباريق والأقداح وغيرها[5] وعلى أية حال يعد استعمال الذهب في الصناعة محدودا لأنه كان مقتصرا على الأثرياء من المجتمع ، في حين أن عامة الناس لا يقوون على اقتنائه .

ارتبطت الصناعة الذهبية **بالصناعة الفضية** ويقوم عليها الصائغ واستعملت الفضة مثلما استعمل الذهب في سك النقود دراهم والحلي وغيرها، ثم تليهم **الصناعة النحاسية** ولوفرة معدن النحاس استعمل لصناعة الكثير من الأواني[6] .

يذكر عبد الرحمان بشير أن غلب على هذه الصناعات أهل الذمة خاصة اليهود بل سيطروا عليها ، حتى أنهم أقاموا أسواقا للمصنوعات الذهبية واحترفوا في صناعة الفضة وكذا تشكيل النحاس [7] .

ويمكن إدراج خبرة الأندلسيين أيضا نظرا للجالية الكبيرة التي تواجدت بتيهرت ، حتى

---

[1]- جودت عبد الكريم ،المرجع السابق ، ص 92.

[2]- ابن الصغير، المصدر السابق ، ص 33.

[3] - ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 200.

[4]- السودان الغربي : يذكر ابن خلدون عنها أنها حد المغرب الإسلامي من جهة القبلة والجنوب ، فالرمال المتهيلة الماثلة حاجزا بين بلاد السودان وبلاد البربر، أما القزويني فيذكر هي بلاد كثيرة وأرض واسعة ينتهي شمالها إلى بلاد البربر وجنوبها إلى البراري وشرقها إلى الحبشة وغربها إلى المحيط ، أراضيها محترقة لتأثير الشمس فيها ... أرضهم منبت الذهب، ينظر ابن خلدون ، العبر ، ج 6، ص 197 ، زكرياء بن محمد بن محمود القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد ، د.ط ، دار صادر ، بيروت ، د . ت ، ص 24 .

[5]- جودت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص 102 .

[6]- المرجع نفسه ، ص 103 .

[7] - عبد الرحمن بشير،اليهود في المغرب العربي(22 - 462 هـ/ 642 - 1070 م)، ط 1،عين الدراسات، مصر،2001 م ، ص 202،203 .

لقب أحد أبوابها "بباب الأندلسيين"، واعتمادا على تلك العلاقات التي ربطت الدولة الرستمية بنظيرتها الأموية بالأندلس.

كما أن أهل الأندلس أكثر تطورا في مجال الصناعة وأكثر حذقا في الصنائع [1] .

2-2 - 3 الصناعة الفخارية :

اهتم الرستميون كثيرا بهذه الصنعة فقد عثر جورج مارسيه على عدد من المطامير وكسر من الفخار من المرجح أنه كان بتيهرت أفران لشي الفخار ، فصنعت الأدوات و الأواني الفخارية كالقلال والأباريق والكؤوس والأطباق[2] ، واستعمل أيضا لصنع أواني غرس الأزهار ومواقد الجمر ، التي كانت تستخدم للتدفئة ، ومن القرى التي اشتهرت بهذه الصناعة قرية ويغو[3] ، كما أمدت هذه الصناعة القصور والمنشآت الرستمية بما تحتاجه من قطع الخزف وأواني الزينة[4]

2-2- 4 الصنائع و المهن الغذائية:

ارتبطت هذه الصنائع بالإنتاج النباتي والحيواني ، فالقمح والشعير مادتان أساسيتان في غذاء السكان ، وتقوم عليهما صناعات أخرى مثل : **الطحن والخبز والأرحية والأفران** التي كانت منتشرة في كل مكان ، يذكر ابن الصغير أن أهل تيهرت شرعوا منذ عهد الإمام عبد الرحمن بن رستم في اتخاذ الرحى [5] ، التي كانت مجتمعة في مكان واحد يؤدي إليه أحد أبواب المدينة يطلق عليه " باب المطاحن "[6]، وارتبط بصنعة الخبز أي بالخباز **الغربلي** الذي يختص في صناعة الأدوات اللازمة لإعداد الخبز ومنها الغربال[7].

ونظرا للتطور الذي شهدته تيهرت سواء العمراني أو التجاري ظهرت فئة **الطباخين** لخدمة الغرباء وكذا التجار وحتى طبقة الأثرياء وغيرهم [8].

إلى جانب الاشتغال **بعصر الزيتون** ، وكان أهل جبل نفوسة مختصين في ذلك[9] .

عرف الرستميون أيضا **صناعة العطور** ويلقب صاحب هذه الصنعة بالعطار وتعتمد صنعته

---

(1)- ابن خلدون ، المقدمة ، ص 375 ، 376 .
(2)- الحريري ، المرجع السابق ، ص 233 ، جودت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص 110 .
(3)- الباروني ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 139 .
(4)- الحبيب الجنحاني،دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب الإسلامي، ط 2، دار الغرب الإسلامي ،بيروت،1990 م، ص 135 .
(5)- ابن الصغير ، المصدر السابق ، ص 36.
(6)- البكري ، المصدر السابق ، ص 66 .
(7)- جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 110.
(8)- المرجع نفسه، ص 111.
(9)- بحاز إبراهيم ، المرجع السابق ، ص 231 ، 232 .

على الأزهار[1] و توسعت خاصة بعد انتشار الحدائق و البساتين .

أما عن الثروة الحيوانية المختلفة المنتشرة في المراعي الرستمية استغلت للنهوض ببعض الصناعات وظهور بعضها الآخر، **كمهنة الجزار** وقد أشار ابن الصغير إلى وجود القصابين بتيهرت[2] وكثر عددهم بسبب شهرة البلد في تربية الأنعام يضاف إلى هذه المهنة **مهنة اللبان** الذي اهتم بكل ما يخص الحليب و مشتقاته .

ومن **الصناعات التحويلية** ظهرت **الدباغة** التي اعتمدت على جلود الحيوانات لتحول إلى سروج وأغطية و طبول وغيرها[3].

انتشرت صنائع أخرى حيث كان بعض العمال يقومون بتجفيف الفواكه كالمشمش والعنب إلى جانب ذلك صنعوا المعاجين و الربوب مثل: معجون ورب السفرجل .

رغم تعدد الصنائع في الدولة الرستمية إلا أن بعض المؤرخين يعدون ازدهارها نسبي لم يصل إلى مصاف المراكز الصناعية الشهيرة في بلاد المشرق،ويعود سبب ذلك لبعض العراقيل نذكر منها التشابه الصناعي [4] في بلاد المغرب ، فالصناعة فيه كانت قائمة بشكل أساسي على الإنتاج الفلاحي والحيواني فهما الدعامتان الأساسيان للصناعة وما ينتج عنهما من صنائع ومنتجات هي في الحقيقة مواد متوفرة بل تفيض عن الحاجة في كل شبر من البلاد مما يؤدي إلى قلة الطلب عليها وبالتالي الركود .

كما يمكن أن نضيف المنافسة الخارجية فبعض الصناعات تكون مشهورة في بعض المراكز دون غيرها كنسيج مدن العراق وقد اشتهرت بصناعته مدينة الموصل ، و يقول أهل مصر أن الصوف والكتان لنا ليس لأحد من أهل البلدان مثلها[5] وبالتالي وجدت مراكز صناعية تفوق مراكز الرستميون، مما ينعكس عل الصناعة المحلية ويجعل منها صناعة في خدمة الطلب المحلي في أغلب الأحيان ورغم ذلك قامت صناعة هامة لفتت أنظار الرحالة و الجغرافيين فكانت تيهرت " بغداد المغرب "[6].

---

(1)- جودت عبد الكريم ، المرجع السابق ، ص 111 .
(2)- ابن الصغير ، المصدر السابق ، ص 88.
(3)- جودت عبد الكريم ، المرجع السابق ،ص 98،99 .
(4)– المرجع نفسه ، ص 87.
(5)– المرجع نفسه ، ص 88.
(6)- أبي عبد الله محمد بن إدريس الحمودي الإدريسي، المغرب و أرض السودان و مصر و الأندلس مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، د. ط ، مطبعة بريل ، ليدن ،1866 م ، ص 84 .

كانت الزراعة والصناعة وجهين لعملة واحدة ، فهما مكملان لبعضهما البعض وبدون التطور الزراعي وتنظيمه لا يمكن أن يكون هناك إنتاج وحاصل صناعي ، ولولا الصناعة ما أمكن توفير مادة أولية للزراعة لتساهم في التصنيع و التطوير ، وكل هذا راجع إلى مؤثرات كانت أساس المجالين في الدولة الرستمية ، من موارد منها ما توفرت عليه المنطقة وأخرى جلبت عن طريق التجارة ، مما انعكس في آخر الأمر على النهوض بالزراعة و الصناعة ، و سنرى في الفصل الموالي مدى تأثير هذين المجالين على التجارة و تأثير هذه الأخيرة عليهما.

الفصل الثاني :

التجارة على عهد الدولة الرستمية

التجارة هي عملية بيع و شراء ، و مازالت التجارة من أهم أركان النمو الاقتصادي في ذلك يقول ابن خلدون : "اعلم أن التجارة محاولة الكسب بتنمية المال بشراء السلع بالرخص وبيعها بالغلاء ، أيام كانت السلعة من دقيق أو زرع أو حيوان أو قماش ، وذلك القدر النامي يسمى ربحا ... ولذلك قال بعض الشيوخ من التجار لطلب الكشف عن حقيقة التجارة أن أعلمها لك في كلمتين :اشتراء الرخيص وبيع الغالي ... " [1] .

كما أن الإسلام قد عنى بالتجارة منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، إذ أن الرسول الكريم عمل هو بنفسه تاجرا ، وذكر القرآن جانب من التجارة بقوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا** ﴾[2].

و احتلت التجارة مكانة رفيعة في الإسلام و في ذلك يذكر الدمشقي:" التجارة إذا ميزت من جميع المعايش كلما وجدتها أفضل وأوسع للناس في الدنيا، والتاجر موسع عليه وله مروءة... " [3].

1- التجارة الداخلية:

1-1 نمو و ازدهار التجارة الداخلية:

تمخض عن قيام الدولة الإباضية الرستمية ، آثار بارزة في الميدان التجاري وحتى في الأحوال الاقتصادية عامة ، حيث تربعت على جل بلاد المغرب الأوسط باستثناء مناطق متفرقة [4] ، ما كان له نتائج بعيدة الأثر في تاريخ التجارة ، واعتبرت إحدى محطات العالم الاقتصادي الكبرى فكانت واسعة العطاء والأخذ، وبالتالي ازدهرت تجارتها الداخلية وأصبحت تيهرت الخصبة عاصمة الرستميين مزدهرة ازدهارا كبيرا ومجمعا للتجارة والشهرة العالمية[5] ، وشبهت ببلاد العراق الصاخب [6]بها مختلف الأجناس والملل[7] فاتسع

---

[1]- ابن خلدون ، المقدمة ، ص 636.

[2]- سورة البقرة ، الآية ص 275.

[3]- أبو الفضل جعفر بن علي الدمشقي ، الإشارة إلى محاسن التجارة و غشوش المدلسين فيها ، تق محمود عبد القادر الأرناؤوط ،ط1، دار صادر، بيروت ، 2009م ، ص 62.

[4]- عن المناطق المتفرقة يذكر جودت عبد الكريم ، الإمارات العلوية أو دويلات إباضية خارجة عن الإمامة الرستمية ، أما شرقا امتدت حتى طرابلس عدا المدينة ، ينظر عبد الكريم يوسف جودت ، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية ،د.ط ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1984م، ص 59 .

[5]- فاطمة مطهري، "علاقات مدينة تيهرت الرستمية بالسودان الغربي 2-3هـ/8-9م " ، مجلة الفسطاط التاريخية ،(إ.ع.م 07/20/ 2013) ، [أرشيف المدونة الإلكترونية]، ص 01.

[6] – George Marcais , la berberie musulumane et l'orient au moyen Age , Paris , 1946, p 104

[7]- الباروني ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 10.

نطاقها وأمنت طرقها، وأول ما قام به الرستميون من أجل إحياء حركة التجارة هو تأمينهم للطرق و المراكز التجارية واستطاعوا أن يقروا الأمن والاستقرار وأن يسهروا على ذلك و ضربوا على أيدي العابثين، فأمن التجار أنفسهم وأقبلوا بتجارتهم على أسواق البلاد في طمأنينة وثقة وسرعان ما تحولت القرى إلى مدن ومراكز عامرة بالتجارة وأصحاب الأموال كما عرجت عليها الطرق التجارية من الشمال إلى الجنوب و من الشرق إلى الغرب [1] .

و قد شجع الأئمة الرستميون التجارة و ساهموا في ازدهارها ، فنجد الإمام عبد الوهاب تاجرا و كان الإمام أبو حاتم يخرج ليجير القوافل الآتية من الشرق[2] ، إلى جانب ذلك لم يفرضوا المكوس على تجار ولم يثقلوا كاهل أصحاب الصنائع بالضرائب [3] .

ونظرا لتعدد الحرف كانت الحاجيات مختلفة بين الصناع وغيرهم ،مما أدى إلى ضرورة التبادل الداخلي بينهم وبين المدن والقرى[4] ،حيث كانت التجارة هذه تؤدى على نطاق الأسواق التي كانت منظمة،تحت مراقبة المحتسب وبالتالي تحولت تيهرت إلى مركز تجاري نشيط خلال القرن 3 هـ /9 م، مليئة بجماعات كبيرة من التجار الذين وجدوا إلى جانب الأمن في ظل الأئمة[5] كل ما يحتاجون إليه، ونقصد الربح وهو هدف كل تجارة وأولها .

1-2 الأسواق و تنظيمها:

تقام الأسواق حيث توجد تجمعات سكانية ،فيخصص مكان يجتمعون فيه للتبادل التجاري وللتزود بما يحتاجونه ، حيث كانت لكل قبيلة من القبائل المتجاورة سوق محلية كما كانت تقام بعض الأسواق على الطرق الرئيسية الرابطة بين المدن بالإضافة إلى أسواق أخرى تقام حول المدن[6] ، وكلها تمثل المركز الاقتصادي للمدينة أو المنطقة ويتردد عليها مختلف الناس لمن له غاية تجارية أو غير ذلك[7]، على أن وظيفة السوق لا تقتصر على العمل التجاري فحسب ، بل لها وظائف أخرى اجتماعية و ثقافية و تربوية ، فنجد مثلا إغاثة

---

(1)- أحمد حسن محمود و منى حسن محمود ، تاريخ المغرب و الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة ،ط1، دار الفكر العربي،القاهرة ، 1999م ، ص 121.

(2)- ابن الصغير، المصدر السابق، ص 104.

(3)- جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية ، ص 127.

(4)- بحاز إبراهيم ، المرجع السابق ، ص 178.

(5)- حسين مؤنس ، تاريخ المغرب و حضارته من قبيل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي ،ط1 ،دار الحديث للنشر و التوزيع ، بيروت، 1996 م ، ج1 ، ص 120.

(6)- جودت عبد الكريم ، الأوضاع الاقتصادية ، ص 134.

(7)- الحريري ، المرجع السابق ، ص 233 .

الضعيف ووعظ وإرشاد الناس ، تنافس الشعراء ، دعوة إلى مذهب وغير ذلك[1] وفي المقابل وجب الالتزام بالآداب العامة في الأسواق و إلا تدخل المحتسب .

ما يلاحظ أن الأسواق في الدولة الرستمية كانت موجودة في كل مدينة وقرية عظم قدرها أو صغر وقد أشار المقدسي إلى أسواق تيهرت فقال :"بلد رشيق الأسواق "[2]

ووصفها البكري نقلا عن محمد بن يوسف الوراق فذكر : "بتاهرت أسواق عامرة "[3]

يضيف ابن عذاري متأثرا بسابقيه فذكر أن لتيهرت الحديثة : "أسواق كثيرة عامرة"[4] ،

كانت الأسواق متعددة منها ما يعقد في يوم معلوم من الأسبوع ويهجرها تجارها ،فوجد سوق الخميس بتيهرت مثلا ، وهي أسواق أسبوعية .

كما وجدت أسواق دائمة تقام في كل يوم ، وأيضا أسواق المناسبات والمواسم وذلك وفقا للإنتاج الموسمي الذي يتطلب سوقا مرتبطة به .

قد تنسب الأسواق وتسمى على اسم القائم بأمرها أو مؤسسها [5] ، وربما تنسب إلى جماعات وذلك ما نكتشفه من قول ابن الصغير : "مسجد القرويين ورحبتهم" [6] ، الأمر ذاته بالنسبة لجماعات البصريين والكوفيين وغيرهم .

كما قد تنسب إلى جماعة دينية تتعامل معها فظهرت أسواق تحمل اسم المسلمين وأسواق اليهود وقد أثبتنا سابقا الدور الفعال الذي تقوم به هذه الجماعة الأخيرة في النشاط الاقتصادي[7] .

قد ينسب السوق أيضا إلى السلعة التي تباع فيه ويعرف بها فيقال : سوق الجمال ، سوق الصوافين ، سوق الغزل و غيرها[8].

و موضوع التخصص من بين أهم أوليات تنظيم الأسواق ، فكان كل سوق يختص

---

(1)-جودت عبد الكريم ، الأوضاع الاقتصادية ،ص 136 ، الدور الثقافي و الحضاري للسوق سنوضحه أكثر في الفصل الثالث ، المبحث الأول،ص 56 ، 57.

(2)– المقدسي ، المصدر السابق ، ص 228.

(3)- البكري ، المصدر السابق ، ص 68.

(4)- ابن عذاري ، المصدر السابق، ج 1 ، ص 25.

(5)- جودت عبد الكريم ، الأوضاع الاقتصادية ، ص 142.

(6)- ابن الصغير ، المصدر السابق ، ص 36.

(7)- بشير عبد الرحمان ، المرجع السابق ، ص 203.

(8)- بحاز ابراهيم ، المرجع السابق ، ص 175 ، دبوز علي ، المرجع السابق ،ج3، ص 283.

بسلعة معينة [1] ، كما يدخل في إطار التنظيم نقل بعض الأسواق خارج المدينة كتلك التي تنطلق منها أصوات مزعجة مثل أسواق الحدادين، والأسواق التي تباع فيها الحيوانات[2] .

3-1 نظام النقود:

تستعمل في الأسواق عدة أنظمة ، حيث كانت بعض السلع تلعب دور الوسيط لتسهيل التبادل بين الأفراد وإن كانت صعبة التجزئة في بعض الأحيان ، لكن مع اتساع وتعقد النشاط الاقتصادي كان لا بد من البحث عن سلعة تنال اعتراف الناس وقبولها كوسيلة للتعامل[3] ويشترط أن تتصف بتجانس وحداتها وقابليتها للتجزئة ، بالمقابل غير قابلة للتلف وسهلة الحمل وهي صفات تجتمع في المعادن[4] ، وعليه تولت الدولة الإشراف على هذا الأمر وأقيمت دور الضرب وإن لم يذكر المؤرخون أن الرستميون قاموا بإنشاء دار السكة إلا أن جودت عبد الكريم يرجح أنهم فعلوا[5] ، كما أننا نجد إشارات قليلة عن العملة الرسمية في الدولة الرستمية[6] ، وإن كانت تعتبر وثائق رسمية لا يمكن الطعن فيها ، تمثل سيادة الدولة وهي من أهم المصادر التاريخية التي تكشف لنا حقائق كثيرة ، وتعطينا نظرة عن الأحوال الاقتصادية للبلاد ،كما توضح التقدم والاستقرار الذي تنعم به وذلك برسم صورة لطريقة التعامل بين الأفراد ، وإذا كانت أشهر السلع التي نقلت من السودان الغربي إلى الدولة الرستمية هي الذهب وتواجد معدن الفضة وحتى النحاس علمنا بتوفر إمكانيات واسعة لضرب النقود في الدولة الرستمية ، و قد أكد إبراهيم بحاز ذلك فقال: "كانت لها عملاتها الخاصة التي كشفت عنها الآثار" [7] ،كما أن ابن الصغير يشير إلى العملة في قوله عن الإمام يعقوب بن أفلح أنه:" كان نزيها ما جس بيده دينارا ولا درهما "[8]، وهما عملتان متداولتان في العالم الإسلامي[9].

---

[1]- عرفت الدولة الرستمية العديد من الأسواق و كانت متنوعة كأسواق الدقاقين ، الصيارفة ، الفاكهيين ، العطارين ، الدباغين أيضا سوق الأسلحة والصاغة و غيرها.

[2]- جودت عبد الكريم ،الأوضاع الاقتصادية ، ص 144.

[3]- المرجع نفسه ، ص 172.

[4]- صالح بن قربة ، المسكوكات المغربية ،د. ط ، المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر، 1996م ، ص 532 ، 533.

[5]- جودت عبد الكريم ، الأوضاع الاقتصادية ، ص 173.

[6]- بحاز ابراهيم ، المرجع السابق ، ص 183.

[7]- المرجع نفسه ، ص 181 ، محمود إسماعيل ، المرجع السابق ، ص 276.

[8]- ابن الصغير ، المصدر السابق ، ص 112.

[9]- عرف العالم الإسلامي تأخر ظهور العملة ، حيث قام عبد الملك بن مروان (74هـ - 75 هـ) الخليفة الأموي بوضع سكة إسلامية ، فقبل كان الدينار البيزنطي وكذا الدرهم الساساني يقومان بعملهما كعملة في التداول و التبادل التجاري ، ينظر موريس لومباز ، الإسلام في مجده الأول من القرن (2هـ -5هـ)، تح إسماعيل العربي، د. ط ، الشركة الوطنية ، بيروت ،1979م ، ص 170، 171.

ينقل جودت عبد الكريم بيتا من قصيدة لأبي اليقظان - إباضي معاصر- بخصوص الرستميين[1]:

وكم ضربـــوا ذهبا سكـــة[2] ... رأينا لـــها قطـــعة كـأثر

رغم ذلك لا تفاصيل عن الدينار الرستمي بالنسبة لوزنه وشكله ودرجة صفائه ، ولا حتى عن الدرهم وإن أخذنا بعين الاعتبار أن الدولة الرستمية دولة دينية قد يكون درهمها عادل الدرهم الشرعي لضرورة نصاب الزكاة [3] .

1- 4 المشرف على السوق :

اتصلت الأسواق وتنظيماتها بخطة الحسبة والمحتسب [4] وهي شرعا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكانت الحسبة مصطلحا دينيا إداريا عاما [5] ثم خصصت لمعنى الشرطة وبنوع أخص شرطة الأسواق والآداب ، تناولها مؤرخو الأحكام السلطانية الإسلامية مثل : ابن خلدون[6] الماوردي[7] ومن خلال ما أوردوه نستنتج أنها نظام للرقابة على سير الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ، بطريقة تجعلها في إطار قواعد الشرع الإسلامي وفي إطار المصلحة العامة للمجتمع [8] .

لم يرد ذكر المحتسب بهذا الاسم في تيهرت أو غيرها من المدن الرستمية ، ربما لأنها لم تكن منظمة ولم تكن وظيفة مستقلة بحيث يختص بها موظف معين يحمل لقب المحتسب ومن كشف عن هذه المهمة مؤرخ الدولة الرستمية " ابن الصغير" حيث بين أن المحتسب هو صاحب الشرطة ففي عهد الإمام أفلح أشار إلى أن صاحب شرطته كان : " إذا تخلل للمدينة لافتقادها لم يجسر أن يدخل سوق ابن وردة و لا يتخلله هيبة "[9] ، و هذه المسألة تبين أن

---

(1)- جودت عبد الكريم ، الأوضاع الاقتصادية ، ص 175.

(2)- السكة : عبارة عن قطعة مستديرة الشكل قطرها يتراوح بين 23 ملم و 26 ملم ، كانت قيمتها الوزنية جيدة تتراوح ما بين 4.10 غرام و 4.20 غرام ، هذه النسب تتفق مع الدينار الأغلبي ، ينظر ابن قربة ، المرجع السابق ، ص 532.

(3)- جودت عبد الكريم ، الأوضاع الاقتصادية ، ص 176 ، عن عملة الرستميين ينظر الملحق رقم 02 .

(4)- الحسبة في عرف الشرع من الخطط الدينية و الكلمات الجامعة للأمر بالمعروف إذا أهمله الناس و النهي عن المنكر إذا انتشر بينهم ،ينظر موسى لقبال، الحياة اليومية لمجتمع المدينة الإسلامية من خلال نشأة و تطور نظام الحسبة المذهبية في المغرب العربي، ط1،دار هومه ، الجزائر،2002م ، ص 20.

(5)- الحسبة في بلاد المغرب والأندلس انتقلت من خدمة دينية إلى عمل إداري له تقاليد معينة، ينظرالمرجع نفسه ، ص 05 ،20.

(6)- الحسبة وظيفة دينية من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ،الذي هو فرض على القائم بأمور المسلمين يعين لذلك من يراه أهلا له ، ينظرابن خلدون ، المقدمة ، ص 215.

(7)- ينظر أبو الحسن علي بن محمد حبيب الماوردي، الأحكام السلطانية و الولايات الدينية ، تح أحمد مبارك البغدادي، ط1،مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، 1989م ، ص 315 ، 316.

(8)- لقبال ، الحياة اليومية ، ص 20 ، رغم ذلك تبقى خطة الحسبة تابعة لعمل القضاء و المحتسب يأتمر بأوامر القاضي ، ينظرأحمد سعيد المجيلدي ،التسيير في أحكام التسعير ، تق و تح موسى لقبال ، ط2 ،الشركة الوطنية ،الجزائر ، 1981م ، ص 42.

(9)- ابن الصغير ، المصدر السابق ، ص 62 ، 63.

صاحب الشرطة من اختصاصاته تفقد السوق وتنفي بالمقابل تخصص موظف بأمور السوق[1] وإن كان كذلك فقد وجد الاحتساب منذ قيام الدولة.

فعلى عهد الإمام عبد الرحمن بن رستم وجد أصحاب الشرطة وذلك للحفاظ على الأمن والاستقرار الضروريان لتطور الدولة لتنتقل من مرحلة البداوة إلى الحضارة ،وقد وصف ابن الصغير اندهاش وفد أهل البصرة في التطور الذي حدث[2] قال : "والبلد زائدة عمارتها في ذلك كله والسيرة واحدة وقضاته مختارة ... وأصحاب شرطته و الطائفون قائمون بما يجب" [3] ، وعليه وجدت الشرطة في كل المدن التابعة للدولة الرستمية[4] ، يضيف ابن الصغير أن نفوسة كانت : "تلي عقد تقديم القاضي وبيوت الأموال وإنكار المنكر في الأسواق والاحتساب على الفساق"[5].

وقد عرفت مهمة الحسبة استقلالا على عهد الإمام أبي اليقظان حيث قام بتأسيس فرقة كاملة للقيام بأعمال الحسبة [6] ، وذلك ما بينه ابن الصغير في قوله : "أمر قوما من نفوسة يمشون في الأسواق فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر"[7]، لكن هذا لا يعني الفصل التام لأن القائم بأمور السوق راجع في مهمته إلى صاحب الشرطة والقاضي، وعليه فإن هذا الأخير كان يشارك في مهام الحسبة.

ومن مهام المشرف على السوق ، محاربة كل أنواع الغش والتدليس،التزوير، الاستغلال والاحتكار وغيرها [8]، وأيضا يقوم بمعاقبة مرتكبي ذلك ، وقد استعملت عدة طرق للعقاب وتختلف باختلاف حجم العمل المرتكب ، ويسمى ما خف منها بالتعزير[9] وعن ذلك يذكر ابن الصغير ما قام به زكار و إبراهيم بن مسكين ، اللذان قاما بمهمة المحتسب على عهد

---

(1)- جودت عبد الكريم ، الأوضاع الاقتصادية ، ص 162.

(2) وهراني قدور،"تطور نظام الشرطة في العهد الرستمي (160-296هـ/776-908م)" ،المجلة الخلدونية ،ع.أكتوبر،2009،(إ.ع.م 2014/01/16) ، ص108.

(3)- ابن الصغير ، المصدر السابق ، ص76.

(4)- وهراني ، المرجع السابق ، 108.

(5)- ابن الصغير ، المصدر السابق ، ص 63.

(6)- جودت عبد الكريم ، الأوضاع الاقتصادية ، ص 170.

(7)– ابن الصغير ، المصدر السابق ، ص 88.

(8)- وهراني ، المرجع السابق ، ص 109.

(9)- التعزير : عقاب المذنب أو المخالف لأمور لم تشرع فيها الحدود ، و يترك أمر العقاب فيها لولي الأمر ، و يتخلف التعزير بحسب الذنوب المرتكبة و حال المذنب نفسه و هو أنواع مثل : التوبيخ و الزجر بالكلام و الحبس و الضرب ، ينظرعبد الرحمن الشيرازي ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تح السيد الباز العريني ، ط2 ،دار الثقافة ، بيروت ، 1981م ، ص 202.

الإمام أبي حاتم : "حينما اتخذ الناس المسكر أسواقا والغلمان أخدانا، قطعا ذلك في أسرع من طرفة العين " [1].

وتدخل المكاييل والموازين والمقاييس في اختصاصات المحتسب من خلال مراقبة السوق والتعرف على أحواله ، وهي تعتبر خطة قائمة بذاتها [2].

1- 5 المكاييل والموازين و المقاييس :

إن دراسة الحياة الاقتصادية يتطلب التعرض للمكاييل[3] والموازين والمقاييس [4] التي يستخدمها الناس في شراء بضائعهم ومستلزماتهم وهي ما يتصل بالتجارة .

استخدم الرستميون من الأوزان [5] ، الرطل الذي يختلف وزنه من منطقة لأخرى وعرف برطل تيهرت عندهم ، كما يختلف حسب المادة التي توزن به ، فيقال رطل فلفلي رطل اللحم وغيرهما ، ورطل تيهرت كان رطلا بغداديا وزنه مائة وثمانية وعشرون درهما وكان له أجزاء استعملت في الأوزان منها نصف الرطل[6] .

واستعمل أيضا المثقال [7] ، واعتبر الدينار مثقالا ، وجعل أيضا المثقال وزن ثلاثة قراريط من الفضة[8].

يضاف إلى أوزانهم أيضا الأوقية[9] التي كانت هي الأخرى تختلف من مكان لآخر وكذا القنطار، منه قنطار الزيت وقنطار الفلفل ، فقنطار الزيت في تيهرت يذكر البكري أنه قنطاران غير ثلث وهو يعني بوزن قرطبة والقنطار القرطبي يساوي مائة رطل وثمانية وعشرين رطلا[10] .

كانت الأوزان مصنوعة من الرصاص وكل منها مطبوعة باسم الحاكم ، وكانت تجدد من حين لآخر فيعاد طبعها ويعاقب المحتسب كل من يحاول التلاعب والغش في الأوزان[11] .

---

[1]- ابن الصغير ، المصدر السابق ، ص 116.
[2]- لقبال، الحياة اليومية ، ص 85.
[3]- المكيل و المكيال : ما كيلت به ،وكال الشيء بالشيء قاسه ، و كال الطعام من باب باع ، ينظر الشرباصي ، المرجع السابق ، ص 439.
[4]- المقياس: ما قاس به و هو المقدار و به أقسيه قياسا من باب باع ، و ما يقيسه بالشيء مقايسة و قياسا و هو تقديره به ، ينظر المرجع نفسه ، ص 434.
[5]- أورد موسى لقبال عن الموازين :"أصح الموازين وصفا ما استوى جانباه واعتدلت كفتاه و كان ساعده فولاذا ، ووحدات الوزن من الحديد لا من الحجر وعليها عددها الذي تمثله و ثقب علاقته وسط العمود و توجد به آلات الوزن الصغيرة..." ، ينظرلقبال ، الحياة اليومية ، ص 88.
[6]- جودت عبد الكريم ، الأوضاع الاقتصادية ، ص 179.
[7]- المثقال : يكون كيلا و وزنا و هو اثنا عشر أوقية.
[8]- القيراط : جزء من أجزاء الدينار ، الشرباصي ، المرجع السابق ، ص 107.
[9]- الأوقية : اسم لأربعين درهما من الذهب ، ينظر المرجع نفسه ، ص 42.
[10]- البكري ، المصدر السابق ، ص 69 ، جودت عبد الكريم ، الأوضاع الاقتصادية ، ص 181 .
[11]- المرجع نفسه ، ص 183.

أما المكاييل[1] استعملت في الحياة اليومية والمعاملات التجارية ، كانت تختلف من مكان لآخر منها : المد[2] ذكر البكري بخصوص مكيال أهل تيهرت أن :" مدهم الذي يكتالون به خمسة أقفزة ونصف قرطبية"[3]، أما القفيز [4] استعمل لكيل السوائل كالزيت وحتى الحبوب[5] والدرجيني أشار إلى مكيال آخر يدعى الوسق فورد عنده :"إن عندنا أرضا كريمة قدر الكساء يحمل البعير وسقه حبا "[6] ، وأيضا أشار إلى الصاع كأداة للكيل في مجرى حديثه عن مهدي النفوسي - من الطبقة الخامسة - فقال : " إن هذا كال بصاعهم لم يطفف ولم يبخس"[7] ، ومن هنا جاءت وحدات الكيل والقياس تطبيقا لتعاليم الشريعة الإسلامية التي تحذر من الغش في الميزان والتطفيف في الكيل وفي ذلك قوله تعالى : ﴿**وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ، الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ، أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ، لِيَوْمٍ عَظِيمٍ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[8] . وبذلك عمل الرستميون على ضبط وحدات الوزن والكيل والقياس كما عملوا على تطويرها ليتفادوا الغش ، ويضمن المنتج والتاجر والمستهلك حقه ، فكانت دعامة قوية للنشاط الاقتصادي.

2- التجارة الخارجية:

2-1 نمو وازدهار التجارة الخارجية :

كان لازدهار التجارة الداخلية في الأسواق الرستمية وامتلاءها بالبضائع والمنتجات والاهتمام الكبير بنظم تلك الأسواق ومراقبتها ، أثر كبير في تنشيط حركة التجارة الخارجية فأصبحت تلك الأسواق مقصد التجار والقوافل من كل مكان ، يقدمون إليها محملين بالبضائع المختلفة ويصدرون عنها ، وقد امتلأت قوافلهم بمنتجات البلاد ، كل هذا ساعد على نمو وازدهار التجارة الخارجية بالإضافة إلى :

---

[1]- يقول الشيرازي:"... و المكيال الصحيح ما استوى أعلاه و أسفله ، في الفتح و السعة ، من غير أن يكون محصرا ، و لا بعضه داخلا و بعض خارجا ، و إن كان قفله طوق من حديد كان أحفظ له ..."، ينظر الشيرازي ، المصدر السابق ، ص 20.

[2]- أصل المد بمد الرجل يديه فيملأ كفه طعاما و كان مد النبي - صلى الله عليه وسلم - رطلين ، و قيل المد النبوي أربع حفنات الرجل الأوسط لا بالطويل جدا ولابالقصير جدا ، وليست مقبوضة الأصابع و لا بمبسوطتها ، وفي المد مكيال هو رطلان و ثلث ، وأيضا ربع الصاع ، ينظرالشرباصي، المرجع السابق ، ص 413.

[3]- البكري ، المصدر السابق ، ص 69.

[4]- يقدر باثنا عشر صاعا عند النبي الكريم ، ينظرلقبال ، الحياة اليومية ، ص 88 ، و هو من مكاييل الأشياء اليابسة ، واختلفت مقاديره ، ينظر الشيرازي ، المصدر السابق ، ص 15 ، الحاشية رقم 03.

[5]- جودت عبد الكريم ، الأوضاع الاقتصادية ، ص 185.

[6]- الدرجيني ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 313.

[7]- المصدر نفسه ، ص 314 ، و الصاع هو أربعة أمداد النبي- صلى الله عليه و سلم - ، ينظر لقبال ، الحياة اليومية ، ص 86.

[8]- سورة المطففين ، الآية 1- 5.

ممارسة الأئمة الرستميون التجارة وكأنهم يوحون للناس بأن يقتدوا بهم [1]كما أن اتساع إطار الدولة الرستمية ، وموقعها الإستراتيجي الذي سمح لها أن تكون حلقة وصل بين أجزاء المغرب الإسلامي وبلاد الأندلس وكذا بلاد السودان[2]، وبذلك فتحت منافذ متعددة لتسويق المنتجات الزراعية والصناعية فنشطت حركة الصادر والوارد ،و مما ساعد كثيرا ازدهار التجارة جوهرتلك العلاقة التي ربطت الرستميين بجيرانهم والتي كانت قائمة على حسن الجوار[3] وتقبل جميع المذاهب في إطار التعايش معها ، زد على ذلك تطور المستوى الحضاري والاقتصادي منذ عهد الإمام عبد الرحمن بن رستم ، والذي أشار إليه ابن الصغير في العديد من المرات.

2-2 العلاقات التجارية:

مثلت هذه العلاقات تلك الصادرات والواردات ، أو ذاك التبادل التجاري في إطاره الخارجي ، حيث بلغ الرستميون شأنا عظيما فزاد إقبال التجار على تيهرت من كل الأقطار جالبين إليها كل شيء حسن المتاع والسلع من المشرق والمغرب والأندلس والسودان ، وهذا لدليل على توسع علاقات الدولة الرستمية التجارية والتي تمثلت في :

2-2 -1 علاقاتها التجارية مع إفريقية [4] :

شهدت إفريقية على عهد الأغالبة ازدهارا ملحوظا في المجالين الزراعي والصناعي[5] حالها حال جارتها تيهرت ،مما وفر ظروف ملائمة للتجارة ، فكان التبادل في مختلف السلع والمنتوجات ، وذلك راجع للوفرة وربما لفرق السعر على حد قول جودت عبد الكريم[6] فصدرت تيهرت للقيروان الحبوب[7] ،والفواكه كالسفرجل والتين بالإضافة لنباتات طبية إلى جانب السمن والعسل ، أما الحيوانات كان في مقدمتها الأغنام ، وقد وفر التجار الرستميون العبيد و لعبوا دور الوسيط بين السودان و القيروان و مختلف المدن.

---

(1)- جودت عبد الكريم ، الأوضاع الاقتصادية ، ص 193.

(2)- جودت عبد الكريم ، العلاقات الخارجية ، ص 115.

(3)- الحريري ، المرجع السابق ، ص231،232..

(4)- القيروان:مدينة عظيمة بإفريقية و ليس بالمغرب مدينة أجل منها،بناها عقبة بن نافع سنة 55 هـ،ينظرالحموي،المصدر السابق، ج4 ، ص 421.

(5)- جورج مارسيه ، بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى ، تر محمود عبد الصمد هيكل ، مرا مصطفى أبو ضيف أحمد ،د .ط ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، مصر، 1991م ، ص 87،88، جوليان شارل ، المرجع السابق ، ص 248.

(6)- جودت عبد الكريم ، العلاقات الخارجية ، ص 118.

(7)- يذكر ابن عذاري أن سنة 260هـ وسنة 266 هـ أصاب إفريقية قحط وغلاء و بذلك ارتفعت الأسعار، فصدرت تيهرت منتوجات زراعية إليها ، ينظر ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 116 ، 117.

أما الرستميون فجلبوا من إفريقية أيضا منتوجات زراعية وصناعية كالموز الذي اشتهرت به مدينة قابس[1]، والفستق المجلوب من قفصة[2] والزيت ، أما عن المصنوعات فاستوردوا الآلات الحديدية والسيوف والأدوات الزراعية فقد وصفت مجانة[3] بـ " مجانة المعادن " لما بها من حديد ورصاص وفضة ، يضاف المنتوجات الحريرية ومختلف الأقمشة لا سيما الثياب السوسية الشهيرة والكساء الدرجيني[4] .

2-2-2 علاقاتها التجارية مع المغرب الأقصى :

العداء السياسي بين الأدارسة وبني رستم لم يحل دون استمرار العلاقات التجارية فعلى حد قول محمود إسماعيل : "عملوا بصيغة التوازن الذي حكم العلاقات بين سائردول المغرب الإسلامي آنذاك،فكانت النتيجة حرص كافة القوى على الإفادة من النشاط الاقتصادي "[5] .

وذاك حقا ما نستنتجه من تلك العلاقات التجارية التي ربطت الطرفين ، فصادرات تيهرت إلى فاس وغيرها من مدن المغرب الأقصى تمثلت في المنتوجات الزراعية ، في مقدمتها الحبوب والفواكه و الحيوانات منها الإبل والأغنام،أما المصنوعات نجد النحاس والأكسية وثياب الصوف وغيرها ، جلب الرستميون من المغرب الأقصى سلعا مشهورة هناك حتى ولو كانت الحاجة إليها قليلة [6]،كقصب السكر من بلاد السوس الأقصى حيث ذكر صاحب كتاب الاستبصار:"يجلب السكر إلى جميع بلاد المغرب والأندلس وإفريقية "[7] .

---

[1]- قابس :مدينة بين طرابلس و صفاقس ثم المهدية على ساحل البحر فيها نخل و بساتين ...من أعمال افريقية ، ينظرالحموي ، المصدر السابق، ج4 ، ص 289.

[2]- قفصة: بلدة صغيرة في طرف إفريقية ... من عمل الزاب الكبير بالجريد... أكثر بلاد إفريقية فستقا ، يحمل إلى جميع نواحي إفريقية والأندلس و سجلماسة ، ينظر المصدر نفسه ،ج4، ص 382.

[3]- مجانة : بلد بإفريقية بها زعفران كثير و معادن حديد و فضة و الرصاص تقلع الحجارة منها للطواحين ، يحمل إلى القيروان و غيرها من مدن المغرب ، ينظرالمصدر نفسه ، ج5 ، ص 56.

[4]- جودت عبد الكريم، العلاقات الخارجية، ص 118، مارسيه، المرجع السابق، ص 09.

[5]- عبد الرزاق محمود إسماعيل ، الأدارسة 172-375هـ ، حقائق جديدة ، ط1، مكتبة مديوني ، مصر، 1991م ، ص 147 ، ليذكر مرة أخرى في كتابه الخوارج أن هذه العلاقات كانت في نطاق محدود ، ينظر إسماعيل محمود ، الخوارج ، ص 278.

[6]- جودت عبد الكريم، العلاقات الخارجية، ص 208، 209.

[7]- مجهول ، الاستبصار ، ص 211.

بالإضافة إلى القطن الذي أشار ابن حوقل إلى إنتاجه بمدينة البصرة [1] ، وقد وجه إلى عدة أقطار[2] ، إن ذكر هذه المواد المستوردة لا على سبيل الحصر، فكما ذكرنا سابقا كان التبادل بين أقطارالمغرب الإسلامي في مختلف المنتوجات سواء ما أنتج في الداخل أو المجلوب من مناطق أخرى .

3-2-2 علاقتها التجارية مع سجلماسة :

كانت سجلماسة[3] حلقة اتصال بين بلاد المغرب وبلاد السودان وقد صدر لها الرستميون بعض من إنتاجهم الفلاحي كالحبوب، أما المصنوعات منها منتوجات صوفية وكتانية وحريرية وقوارير زجاجية ، أواني خزفية ، تحف معدنية وعطور .

أما ما جلبوه كان التمور الذي اشتهرت بها والكمون والكروية والحنة[4]، وقد ذكر الإدريسي أن هذه الغلات يتجهز بها إلى سائر بلاد المغرب [5] .

4-2-2 علاقاتها التجارية مع السودان الغربي :

ساعد الامتداد العريض للدولة الرستمية على تعدد الطرق والمسالك إلى السودان[6] فكان تجار تيهرت يصدرون إليها القمح والمنتوجات الصوفية والقطنية والكتانية ، وأواني الزجاج والملح[7] ، الذي كان قيما ببلاد السودان[8] ويعتبر ثروة بمثابة النقود ، فذكر البكري أن : " تجارة أهل بلد كوكو بالملح وهو نقدهم "[9]، وتزداد أهميته للتجار الرستميون لأنه السلعة الوحيدة التي يمكنها أن تسدد ثمن الذهب المجلوب فبعض المصنوعات و المنتوجات الزراعية لا تكون كافية أو ملائمة لتسديد ثمن الذهب[10].

---

[1]- البصرة : بلد في المغرب قرب السوس ، ينظرالحموي ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 440 ، و هي أوسع تلك البلاد و أكثرها ضرعا ، ينظر البكري ، المصدر السابق ، ص 112.

[2]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 81.

[3]- سجلماسة : مدينة على طرف الصحراء، عظيمة ، في مطلع جبل درن في وسط الرمل جنوب المغرب ، ينظر القزويني ، المصدر السابق ، ص 27 ، و هي مدينة وسطة من حد تاهرت إلا أنها منقطعة ما يسلك إليها في القفار و الرمال و هي قريبة من معدن الذهب ، ينظر الإصطخري، المصدر السابق ، ص 39.

[4]- جودت عبد الكريم ، العلاقات الخارجية ، ص 227.

[5]- الإدريسي ، المصدر السابق ، ص 08.

[6]- إسماعيل محمود ، الخوارج ، ص 281.

[7]- كان يستخرج من مياه البحر، و أيضا تواجد في عدة أماكن في الصحراء ،ينظر مجهول، الاستبصار ، ص 214.

[8]- جودت عبد الكريم ، الأوضاع الاقتصادية ، ص 219.

[9]- البكري ، المصدر السابق ، ص 183.

[10]- جودت عبد الكريم ، الأوضاع الاقتصادية ، ص 220، و يقال له التبر ما كان من الذهب غير مضروب فإذا ضرب فهو عين و لا يقال تبر إلا للذهب و بعضهم يقوله للفضة و قيل هو حقيقة في الذهب و مجاز في الفضة ، ينظر الشرباصي ، المرجع السابق ، ص 69.

وعليه فإن أشهر السلع المجلوبة من السودان هي الذهب بالإضافة للعبيد [1] ، وريش النعام وجلود الحيوانات[2].

- عمل الأئمة الرستميون على توطيد تلك العلاقات التجارية فأرسل محمد بن عرفة كسفير رستمي إلى مملكة كوكو التي كانت لها علاقات وثيقة مع تيهرت وقد أعجب ملكها بعظمة ابن عرفة الذي حمل معه هدايا الإمام أفلح بن عبد الوهاب[3] ، و في ذلك أورد ابن صغير في ذلك : "عجب ملك السودان لما رآه من هيبته وجماله ... وقال له ملك السودان كلمة بالسودانية معناها أنت حسن الوجه والهيبة والفعال "[4]، وهذا الدليل على النضج الذي يتمتع به الرستميون في هذا الشأن ، وعلى ذكائهم في فتح أسواق خارجية[5] .

5-2-2 علاقاتها التجارية مع الأندلس[6]:

قامت بين الدولة الأموية و الرستميين علاقات على أسس التحالف والصداقة المتبادلة وشملت أيضا المجال الاقتصادي، ومما ساعد على نموها تلك التسهيلات التي منحها الرستميون للتجار القادمين من الأندلس ، حيث فتحت الطريق لهم إلى سائر العالم الإسلامي[7] ، كما هو الحال لكل التجار من المشرق والمغرب ، وقد قويت العلاقة التجارية في ظل حاجة الأمويين بالأندلس إلى مختلف المنتوجات وخاصة الزراعية منها نظرا للفتن والثورات التي قامت آنذاك[8] .

كما أن تيهرت عدت الوسيط في نقل منتجات الأندلس وتصريفها إلى السودان ومصر وبلاد المشرق [9] ، و جلب منتجات هذه البلدان إليها و بالتالي كانت سندا قويا للإمارة بالأندلس في عمليات التصدير و الاستيراد ، و نتج عن ذلك نشاط الأساطيل التجارية

---

[1]- سماهم الإصطخري الخدم السود ، أبي إسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري ، المسالك و الممالك ،د. ط ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1927م ، ص 36.

[2]- مطهري ، المرجع السابق، ص 03 .

[3]- جودت عبد الكريم ، العلاقات الخارجية ، ص 244.

[4]- ابن الصغير ، المصدر السابق ، ص 31 .

[5]- قدور وهراني ، "جوانب من التاريخ الاجتماعي و الاقتصادي لمدينة تاهرت"، مجلة التراث العربي ، (إ.ع.م 2014/02/24) ، [موسوعة دهشة]، ص 215.

[6]- الأندلس :جزيرة في آخر الإقليم الرابع إلى المغرب ، كريمة طيبة كثيرة الفواكه و الخيرات فيها دائمة بها مدن كثيرة و القواعد العظيمة فيها معادن الذهب والفضة والنحاس والرصاص و الزئبق و اللازورد و الشب و التوتيا ... متصلة ببجر أقيانس الأعظم ، ينظرأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار ، تص و تطبيق الحواشي لافي بروفنصال ،ط2 ، دار الجيل ، لبنان ،1988م ، ص01،02.

[7]- الحريري ، المرجع السابق ، ص 233.

[8]- محمود إسماعيل ، الخوارج ، ص 278.

[9]- جودت عبد الكريم ، العلاقات الخارجية ، ص 166.

الأندلسية وازدهار المدن الرستمية والأندلسية على حد السواء[1].

ومن أهم صادرات تيهرت إلى قرطبة كميات هائلة من المواد الغذائية منها الحبوب لا سيما الحنطة والحيوانات أهمها الأغنام وحتى الخيول[2] والمنتوجات الصوفية بالإضافة إلى سلع بلاد السودان كالعبيد والعاج و أهمها الذهب[3] حيث ذكر ابن حوقل أن مدينة وهران: "فيها من جميع الفواكه و في حاضرتها دهقنة وحذق ، و فيهم حمية مع الغريب و هي فرضة الأندلس إليها ترد السلاع ومنها يحملون الغلال"[4] ، كما يؤكد صاحب الاستبصار ذلك فيصف تنس : "رخيصة الأسعار منها يحمل الطعام إلى الأندلس"[5] ويضيف قائلا عن تيهرت : " يجلب الأغنام إلى بلاد المغرب وبلاد الأندلس لرخصها وطيب لحومها" [6] .

ومن صادرات الأندلس إلى تيهرت الحديد ،الكتان، الرصاص ،النحاس ، الجوز وقصب السكر من ألبيرة والزعفران من طليطلة والحرير من ألمرية[7].

كما استوردت تيهرت اللازورد والياقوت الأحمر والزئبق ، والزيت الذي اشتهر في عدة أقطار[8]، يضاف إلى تلك المواد مصنوعات منها أدوات مصنوعة من الحديد والنحاس كالمقصات [9].

بالإضافة للإنتاج المحلي ، لعبت الأندلس دور الوسيط في تصدير منتوجات من بلدان أوربية كالخدم الصقالبة والجواري الروميات وجلود الخز والوبر و الفراء و السيوف [10].

2-3 الطرق التجارية ووسائل المواصلات:

يذكر ابن الصغير: " استعملت السبل إلى بلد السودان وإلى جميع البلدان من مشرق ومغرب بالتجارة وضروب الأمتعة "[11] ،ولا يخفى موقع تيهرت الإستراتيجي الذي تمر به

---

(1)- عبد القادر بوباية ، "علاقة الرستميين بالإمارة الأموية في الأندلس" ، مجلة التراث العربي ، ع. 01 يناير 1970م، (إ.ع.م 2013/12/06) [موسوعة دهشة]، ص 388.

(2)- جودت عبد الكريم ، العلاقات الخارجية ، ص 163.

(3)- سالم عبد العزيز ، المرجع السابق ، ص 577

(4)- ابن حوقل ، المصدر السابق ، ص 79.

(5)- مجهول ، الاستبصار ، ص 127.

(6)- المصدر نفسه ، ص 187.

(7)- جودت الكريم ، الأوضاع الاقتصادية ، ص 221،222.

(8)- الإصطخري ، المصدر السابق ، ص 36 ، البكري ، المصدر السابق ، ص 85،88.

(9)- المقدسي ، المصدر السابق ، ص 232،233.

(10)- جودت عبد الكريم ، الأوضاع الاقتصادية ، ص 223.

(11)- ابن الصغير ، المصدر السابق ، ص 36.

قوافل الشرق والغرب وحتى الشمال والجنوب، فكثرت المسالك وتفرعت الطرق الرئيسية إلى عدة طرق فرعية، وتنوعت بين البرية والبحرية ويمكن التطرق إليها فيما يلي :

1-2-3 أهم الطرق بين تيهرت وإفريقية :

نبدأ بالطريق البري الذي يخترق منطقة الهضاب العليا إلى الزاب ثم إلى القيروان عبر جبال الأوراس ، فالخارج من تيهرت يسير إلى مدينة سطيف ثم إلى القيروان وتستغرق الرحلة مسير شهر على الإبل[1] ، الاصطخري يذكر أن المسافة بين القيروان وتيهرت ست وثلاثون مرحلة[2]، أما البكري فيجعلها تسع عشر مرحلة ، ويفضل هذا الطريق لأنه آمن وعامر بالقبائل ورغم ذلك لا يخلو من قطاع الطرق[3] ، وهناك طريق صحراوي يخرج من تيهرت إلى ورجلان عبر جبال عمور ومن هناك إلى القيروان [4] ، يعد طريقا حافل بالمتاعب والمشقات رغم ذلك عامر بالحركة لأنه سريع لقلة التوقف فيه وتقوم الرحلات التجارية على مدار السنة[5] ، أما الطريق البحري فللقيروان أسطول ولتيهرت مراكب ترسو بالموانئ التي تحت نفوذها ، حيث كانت القوافل تخرج من تيهرت إلى تنس ومن هناك إلى طبرقة ومنها إلى ميناء تونس[6] ، لتقوم القوافل البرية بنقلها إلى داخل إفريقية والقيروان وغيرها من المدن[7]، تعرج المراكب في طريقها على موانئ عدة من بينها ميناء جيجل وبجاية[8] ، ويعد هذا الطريق البحري خطرا لانتشار القراصنة به وتعرض المراكب للغرق[9] .

هذه الطرق ربطت تيهرت بالقيروان مباشرة ، فحين لعبت مراكز تجارية صحراوية دورا كبيرا في الربط بينهما بطريقة غير مباشرة منها : زويلة ، ورجلان و سجلماسة[10].

---

(1)- أبو القاسم ابن حوقل النصيبي، المسالك و الممالك ، د.ط ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1873م ، ص 59،60.

(2)- الإصطخري ، المصدر السابق ، ص 46 ، المرحلة هي المسافة التي يقطعها المسافر في نحو يوم بالسير المعتاد للدابة و تقدر بـ 24ميلا ، علي محمد جمعة ، المكاييل و الموازين ، ط 2 ، القدس للإعلان ،القدس ، 2001م ، ص50،56.

(3)- البكري ، المصدر السابق ، ص 78.

(4)- ابن حوقل ، صورة الأرض، ص 84

(5)- جودت عبد الكريم ، العلاقات الخارجية ، ص 117.

(6)- ابن حوقل ، المسالك و الممالك ، ص 50 ، 51 ، 52.

(7)- جودت عبد الكريم ، العلاقات الخارجية ، ص 117.

(8)- المقدسي ، المصدر السابق ، ص 226 ، ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص 76.

(9)- جودت عبد الكريم ، العلاقات الخارجية ، ص 117.

(10)– جودت عبد الكريم ، الأوضاع الاقتصادية ، ص 207.

2-2-3 أهم الطرق بين تيهرت والأندلس :

سلك التجار بين تيهرت والأندلس طريقين ، طريق بري إلى سبتة، طنجة ومن ثم إلى الأندلس ، عبر مضيق جبل طارق[1]، هذا الطريق يمر بتلمسان عبر بلد ابن مسالة الهواري ومنها إلى مدينة يقال لها يلل ومنها إلى مدكرة ثم إلى إيزرج ومنها إلى مدينة تلمسان[3] ، ثم يمتد الطريق من تلمسان إلى مدينة فاس ، وبين تيهرت وفاس خمسون مرحلة ليتواصل الطريق من فاس إلى سبتة ثم طنجة ومنها تعبر المراكب إلى الأندلس[4] ، كانت الحركة التجارية بهذا الطريق نشيطة باعتبار أنه طريق داخلي ، يمر في كثير من القرى والمدن بعيد عن أخطار البحر[5] .

أما الطريق البحري يمر عبر موانئ المغرب ،من مرسى فروخ أو فروج كما ذكره الإدريسي[6] ، وذكر عنه اليعقوبي : " ترسى به مراكب تاهرت" [7]، يضيف ابن حوقل ذكر مرسى تنس[8] ، وصاحب كتاب الاستبصار مرسى الخرز[9] ، وعليه كانت تنقل السلع برا إلى هذه المراسي ومنها تعبر المراكب إلى الأندلس، كانت الحركة نشطة أكثر في ميناء تنس[10] ومرسى فروخ ، وذلك حسب ما أورده اليعقوبي فيمن يركب البحر إلى الأندلس من إفريقية مارا بتيهرت : "...حتى صار إلى تاهرت يوافي جزيرة الأندلس فيقطع اللج في يوم وليلة يصير إلى بلد تدمير"[11]، يبين لنا أيضا اتصال تيهرت بتدمير عبر تنس ، أما عن مرسى الفروخ فذكر أنه مرسى مراكب تيهرت[12]، كان هذا الطريق يقصر المسافة بين تيهرت والأندلس ، لكنه ككل طريق بحري عرضة لأخطار عدة[13] ، ورغم ذلك لم تكن عائقا وقامت حركة تجارية بحرية نشيطة ، لتبرهن أن موقع تيهرت الداخلي لم يمنعها من

---

(1)- يذكر المقدسي أن عرضه يبلغ اثنين عشر ميلا ، ينظر المقدسي ، المصدر السابق ، ص 247.
(3)- الإدريسي ، المصدر السابق ، ص 87.
(4)- الإصطخري ، المصدر السابق ، ص 37.
(5)- جودت عبد الكريم ، العلاقات الخارجية ، ص 154.
(6)- الإدريسي ، المصدر السابق ، ص 100.
(7)- اليعقوبي ، المصدر السابق ، ص 14.
(8)- ابن حوقل ، صورة الارض ، ص 78.
(9)- مجهول ، الاستبصار ، ص 14.
(10)– يذكر عنها ابن حوقل في المسالك :"... يعدو إليها الأندلسيون بمراكبهم و يقصدونها لمتاجرهم و ينهضون منها إلى سواها" ، ينظر ابن حوقل المسالك و الممالك ، ص 52.
(11)- اليعقوبي ، المصدر السابق ، ص 16 .
(12)- المصدر نفسه ، ص 16.
(13)- جودت عبد الكريم ، العلاقات الخارجية ، ص 155.

الريادة في مجال البحر و وجد من الرستميين من امتلك المراكب التي خدمت التجارة وجابت عدة موانئ [1] .

3-2-3 أهم الطرق بين تيهرت والمغرب الأقصى :

ذكرنا سابقا الطريق البري المؤدي إلى الأندلس المار عبر تلمسان إلى طنجة وهذا الطريق ذكره اليعقوبي ، أما ابن حوقل فذكر طريق آخر فالخارج من تيهرت يمر على مدينة أفكان ومنها إلى وادي الصفاصف إلى تاتانلوت ومنها إلى تلمسان ، ويخرج المرتحل منها إلى مدينة العلويين ومنها إلى غالته ، مرورا بعدة قرى ومدن إلى مدينة نكور[2]وصاحبها صالح بن سعيد ، ثم يدخل إلى غميرة أول بلاد الأدارسة وصولا إلى نهر سبو، ومنها إلى فاس التي ذكرها الإدريسي فقال عنها : " ... ومدينة فاس هي حاضرتها الكبرى ومقصدها الأشهر وإليها تشد الركائب وإليها تقصد القوافل ويجلب إلى حاضرتها كل غريبة من الثياب والبضائع والأمتعة الحسنة " [3] ،والمدن التي على طول هذا الطريق تلمسان - فاس تعتبر محطات تجارية رئيسية[4].

ومن فاس تفترق الطرق وتتفرع سواء إلى داخل المغرب وإلى سجلماسة والسودان الغربي والصحراء الكبرى .

أما عن المسافة بين تيهرت وفاس قدرها الإدريسي بثلاث عشرة مرحلة[5] ، أما الاصطخري فجعلها خمسون مرحلة[6].

بحريا تسير المراكب من موانئ المغرب الأوسط وحتى القادمة من إفريقية وغيرها إلى سواحل المغرب الأقصى ، حيث تصل ماسة وهي قرية على المحيط الأطلسي مرورا بعدة موانئ مثل: نكور ،سبتة ، طنجة وأصيلا[7] ، وكلها موانئ تعج بحركة تجارية نشيطة خاصة بمراكب الأندلسيين ، و بالتالي جابت مراكب تيهرت سواحل المغرب كاملة معها تجارات

---

(1)- جودت عبد الكريم ، العلاقات الخارجية ، ص 155 ، كانت دعامة هاته العلاقات التجارية تلك العلاقات السياسية التي ربطت البلدين منذ التأسيس أي منذ عهد الإمام عبد الرحمن بن رستم الإمام الأول للدولة الرستمية و عبد الرحمن الداخل مؤسس الإمارة الأموية بالأندلس.

(2)- نكور: مدينة لها مرسى ترسو به المراكب في بطن جزيرة تعرفه بالملزمة ، ينظرابن حوقل ، المسالك و الممالك ، ص 53.

(3)- الإدريسي ، المصدر السابق ، ص 82.

(4)- جودت عبد الكريم ، العلاقات الخارجية ، ص 206.

(5)- الإدريسي ، المصدر السابق ، ص 80.

(6)- الإصطخري ، المصدر السابق ، ص 36.

(7)- جودت عبد الكريم ، العلاقات الخارجية ، ص 207.

مختلفة، ويفسر الباروني كلمة مغرب على أنها المغرب الأقصى والأندلس أي مغرب بالنسبة لتيهرت.[1]

4-2-3 أهم الطرق بين تيهرت و سجلماسة والسودان الغربي :

يقول ابن حوقل : "وكانت القوافل تجتاز بالمغرب إلى سجلماسة وسكنها أهل العراق و تجار البصرة والكوفة والبغداديون الذين كانوا يقطعون ذلك الطريق فهم وأولادهم وتجارتهم دائرة مفردة همت دائمة ، وقوافلهم غير منقطعة على أرباح عظيمة وفوائد جسيمة فلما بدانها التجار في بلاد الإسلام سعة الحال "[2]، وعليه سجلماسة[3] مركز تجاري يجتمع به تجار المشرق ومنه يتوجهون إلى منطقة السودان يحملون بضائعهم ويعودون بالمال والربح الوفير، وإن ذكر ابن حوقل سجلماسة على أنها مركز تجاري فاليعقوبي أول من أشار إلى وجود طريق بين تيهرت و سجلماسة فذكر أن من : " خرج من تاهرت ، سالك الطريق إلى القبلة والغرب سار إلى مدينة يقال لها أوزكا "[4] و يستمر الطريق إلى سجلماسة التي بينها وبين تيهرت حسب اليعقوبي عشر مراحل[5]، أما البكري فيذكر: "على مدينة وجدة طريق المارة والصادرة من بلاد المشرق إلى سجلماسة وغيرها من بلاد المغرب "[6] وذلك ما ذكره صاحب الاستبصار[7] وبالتالي يكون الطريق من تيهرت إلى تلمسان ثم إلى وجدة ومن هناك إلى سجلماسة ،هذا الطريق عد طريقا مباشرا، هناك طريق غير مباشر يسلكه التجار فتسير قوافلهم من تيهرت إلى فاس ومنها إلى سجلماسة ، و كانت الحركة التجارية بهذا الطريق نشطة[8] ومن سجلماسة يتفرع الطريق إلى بلد أغمات ثم إلى ماسة وإن كانت تيهرت بوابة سجلماسة إلى المشرق باعتبار أن تيهرت تقع على الطريق شرق-غرب والتجار الشرقيون عامة يعبرونها إلى سجلماسة فإن هذه الأخيرة عدت مدخلا تجتازه تجارة تيهرت إلى بلاد السودان[9] .

---

(1)- الباروني ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 09،10 .
(2)- ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص 277،278.
(3)- جودت عبد الكريم ، العلاقات الخارجية ، ص 225.
(4)- اليعقوبي ، المصدر السابق ، ص 13.
(5)- المصدر نفسه ، ص 13.
(6)- البكري ، المصدر السابق ، ص 82.
(7)- مجهول ، الاستبصار ، ص 66.
(8)- جودت عبد الكريم ، العلاقات الخارجية ، ص 225.
(9)- المرجع نفسه ، ص 227.

و اليعقوبي يذكر الطريق من سجلماسة إلى أودغست[1]، يستمر إلى غانة ،وابن حوقل يذكر أن الطريق من سجلماسة يستمر إلى غانة و المسافة بينهما حسب البكري مسيرة شهرين[2] ويضيف البكري:" من مدينة سجلماسة تدخل إلى بلاد السودان إلى غانة "[3] .

وهناك طريق من سجلماسة إلى مدينة تادملت حيث يجعل البكري المسافة بينهما إحدى عشرة مرحلة[4] ، ثم يخرج إلى السوس الأقصى وابن حوقل يجعل سجلماسة والسوس الأقصى و أودغست رؤوس مثلث "أقصر أضلاعه من السوس إلى أودغست"[5]والطريق من سجلماسة إلى أودغست إحدى وخمسون مرحلة عند البكري[6] .

أما المسافة من تيهرت إلى سجلماسة جعلها الإصطخري خمسة وثمانون مرحلة [7] والمسافة بين سجلماسة و أودغست إحدى وخمسون مرحلة عند البكري[8] وبين سجلماسة وغانة مسيرة شهرين في الصحراء وعليه فالطريق من تيهرت إلى غانة عبر سجلماسة حوالي سبعون مرحلة.[9]

وقد أشار البكري إلى وجود طريق ساحلي على المحيط الأطلسي فذكر من واد السوس إلى نول ثلاث مراحل ومن نول إلى جزيرة أيوني القريبة من أوليل ومنها يتجه التجار إلى سجلماسة في أربعين مرحلة[10].

وصفت البلاد وطرق بين المغرب والسودان مفاوز منقطعة ، في رمال قليلة المياه[11] كما اتفق الجغرافيون على أن الطرق المؤدية إلى السودان الغربي، طرق محفوفة بمخاطر تعرضت القوافل والتجار لقطاع الطرق وإن عملت الدولة الرستمية على تأمين تلك الطرق وحتى القبائل لعبت دورا كبيرا في تأمين القوافل و حمايتها ، ضف إلى ذلك قلة الماء

---

(1)- اليعقوبي ،ا لمصدر السابق ، ص 13.
(2)- البكري ، المصدر السابق ، ص 168.
(3)- المصدر نفسه ، ص 149.
(4)- البكري ، المصدر السابق ، ص 159.
(5)- ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص 91.
(6)- البكري ، المصدر السابق ، ص 159.
(7)- الإصطخري ، المصدر السابق ، ص 36.
(8)- البكري ، المصدر السابق ، ص 156.
(9)- جودت عبد الكريم ، العلاقات الخارجية ، ص 226.
(10)- البكري ، المصدر السابق ، ص 171.
(11)- وصفها ابن حوقل أنها :"مفاوز و براري منقطعة قليلة المياه متعذرة المراعي ،ينظر ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص 100 ، الإصطخري ، المصدر السابق ، ص 37.

مع هبوب الرياح الساخنة ، غير أن التجار و أصحاب القوافل تغلبوا على هذه الصعاب باستخدام الجمال مستودعات للمياه ، يقول ابن سعيد : "و أول ما يلقاك من هذا الجزء شجر اليسر التي يقطعها المسافرون ما بين سجلماسة وغانة وهي طويلة وعريضة يكابدون فيها شدة العطش ووهج الحرور ، بها المياه التي في بطون الإبل ويجعلون على أفواهها لئلا تأكل شيئا ، فإذا ينشف الريح مياههم نحروا جملا جملا وشربوا ما في بطنه "[1] ورغم ذلك تدفق التجار بقوافلهم على مدن السودان نظرا لذاك الربح العظيم من تجارة الذهب والرقيق ، حيث يقول ابن خلدون في هذا الصدد : " إذا كان الطريق سابل بالأمن فإنه حينئذ يكثر ناقلوها فتكثر وترخص أثمانها ، ولهذا نجد التجار يولعون بالدخول إلى بلاد السودان أرفة الناس وأكثرهم أموالا "[2].

وهكذا كان الطريق الرابط بين تيهرت والسودان عبر سجلماسة في الحقيقة هو الطريق الرابط بين عدة مناطق وفي أولها القيروان والأندلس وحتى دول المشرق [3].

أما عن وسائل النقل والمواصلات فهي نوعان باعتبار أن الحركة التجارية برية وأخرى بحرية ، وعليه وجدت وسائل برية وأخرى بحرية ، فبالنسبة للوسائل البرية تعتبر الحيوانات الوسيلة الأساسية وقد تطرقنا سابقا لوفرة الإنتاج الحيواني وتنوعه في الدولة الرستمية حيث استعملت الإبل بالدرجة الأولى لتحملها مشقة الطرق والعطش ، حيث ذكر الحموي أن التجار كانوا : " يحملون الجمال الوافرة القوية"[4].

أما الأحصنة لها أهمية في عبور المسافات الطويلة، يضاف لذلك أنها تمتاز بسرعتها[5] وقد استعملت حيوانات مختلفة في جر العربات ، كالأبقار، والبغال وغيرها .

---

[1]- أبو الحسن على بن موسى ابن سعيد ، المغرب في حلى المغرب، تح خليل منصور ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت،1997م ،ج1 ،ص 55، هذا مناف لمبادئ الشريعة الإسلامية ، التي حثت على الرفق بالحيوان، وبقي التجار يستعملون الجمال كمخازن للمياه حتى القرن 5 هـ و 6 هـ أي في عهد الدولة المرابطية و بعدها الموحدية.

[2]- ابن خلدون ، المقدمة ، ص 368.

[3]- عن الطرق و تفرعها ينظر الملحق رقم ، 05 .

[4]- جودت عبد الكريم نقلا عن الحموي ، الأوضاع الاقتصادية ، ص 215، كما تعد الجمال عاملا ازدهار التجارة بين الشمال و الجنوب عبر الصحراء بعد دخوله مجال النقل التجاري في القرن الثالث هجري ، ينظرمفتاح يونس الرباصي، "ازدهار تجارة القوافل بين الدولة الحفصية ودولة الكانم و البرنو في العصور الوسطى "، مجلة ساتل ،(إ.ع.م 2013/12/30) ، [موسوعة دهشة]، ص91.

[5]- الحصان أو الخيل تتحمل المشقة و الجوع و العطش مدة ثلاثين يوما.

أما وسائل النقل البحرية هي السفن المختلفة ، وقد ذكرنا سابقا أن للرستميين مراكب ودليل ذلك توفر مادة الخشب و الحديد في الدولة الرستمية اللازمان لبناء السفن وحتى استيراد الحديد من مجانة وكذا الخشب ، والاستفادة من خبرة الأندلسيين في ذلك مثلما هو الحال عندما بنت جماعة من البحريين الأندلسيين من أهل البيرة وأهل تدمير في سنة 262هـ/ 872 م[1] ، ومرسى فروخ (الدجاج) ووهران التي بناها جماعة من الأندلسيين في عام 290هـ /902م.

هكذا صورت الحياة التجارية على عهد الدولة الرستمية فمن خلال حراكيتها الداخلية والخارجية ، وذاك التنظيم المحكم والسياسة الاقتصادية الناجعة ، كانت تجارة رابحة ، تفيد وتستفيد من كل الإمكانيات المتاحة لا سيما الطرق التجارية والمسالك والمراكز في إطار علاقات ربطتها مع عدة أقطار .

ولعبت التجارة دورا هاما في جميع أطوار الدولة الرستمية إلى جانب نمو وازدهار المجال الاقتصادي ككل ، وجعلها عاصمة تجارية إسلامية عالمية ، كان الرواج التجاري ذو أثر على المجال الثقافي والاجتماعي فشكل حضارة الرستميين ونقلها إلى المناطق التي دخلتها قوافلهم وتجارهم ،و سنرى في الفصل الثالث الدور الحضاري الذي قامت به التجارة الرستمية .

[1]- البكري ، المصدر السابق ، ص 70.

الفصل الثالث :

الدور الحضاري للتجارة الرستمية

عمل الجانب التجاري دوره في بناء الحضارة شأنه في ذلك شأن الجانب السياسي وثقافي وسنوضح في ما يلي ذلك.

1- دورها الحضاري على المستوى الداخلي :

أورد ابن خلدون في تاريخه إشارات تبين أن بلاد المغرب كانت تعرف ضعفا في التمدين مقارنة ببلاد الأندلس والشام والعراق وذلك بسبب استغراق أهلها من البربر في البداوة ولكونهم أهل أنساب وعصبيات ما ينتج عن ذلك عدم استقرار سياسي وبعدهم عن الصنائع الحضرية التي لا تتم المباني إلا بها [1] ، وقد علمنا أن أول ما قام به عبد الرحمن بن رستم هو بناء مدينة تيهرت حيث قام بتعميرها ، مما يدل على بداية مرحلة مهمة في تاريخ المنطقة وهي الانتقال من طور البداوة إلى طور الحضارة،غير أن الازدهار الحضاري اعتمد على الازدهار الاقتصادي الذي يكاد ينحصر في فترة الدراسة على النشاط التجاري وهو النشاط الذي يكمن وراء تطور المدن و المجتمع وانتشار مسالك تجارية برية و بحرية معا[2]، تجعل المدينة عاصمة تكسب صبغة حضارية ، اجتاحت جميع المجالات فبلغت تيهرت شهرتها الآفاق[3] واشتهرت معها عدة مدن رستمية مثل:وهران،تنس،شلف،جبل نفوسة،شروس وغيرها[4] .

1-1 تطور المدن:

يعتبر بناء تيهرت 161 هـ / 777 م إيذانا بحياة الاستقرار وقد ساعد على ذلك عدة عوامل أهمها الموقع وعدت معبرا بين شرق وغرب البلاد وشمالها وجنوبها ، ما ترك آثارا اقتصادية واجتماعية وانعكس على التطور العمراني في ظل ازدهار تجاري أثر في المكانة البارزة التي احتلتها الدولة الرستمية في تجارة العالم الإسلامي[5] وقد بين لنا ابن خلدون تلك العلاقة بين العمران و الازدهار الاقتصادي حيث قال : " و متى عظم الدخل و الخراج اتسعت

---

[1]- ابن خلدون ، العبر ، ج 6 ، ص 117.

[2]- الجنحاني ، المرجع السابق ، ص 14.

[3]- محمد الطرابلسي ، "تطور المدن في المغرب الإسلامي و علاقاتها – العلاقات التجارية ببلاد السودان خلال القرنين (3-4هـ/9-10م)"، (إ.ع.م 2013/12/02)، [موسوعة دهشة] ، ص 04.

[4]- مهنا بن راشد محمد السعدي،" الدولة الرستمية دولة إسلامية ظلمها التاريخ" ،(إ.ع.م 20 /2013/10)، [abujaifar@hotmail.com]، ص 03.

[5]- الطرابلسي ، المرجع السابق، ص 05.

أحوال الساكن ووسع المصر"[1] ، وذلك ما نستشفه من رفض عبد الرحمن بن رستم إعانات الوفد الثاني لإباضية العراق بعد أن وجد وفدهم الأول الحياة بسيطة ، هاهو يجد الأمور تبدلت وأحوال المدينة قد تغيرت ، ونظروا إلى القصور التي بنيت وإلى الأرحاء التي نصبت وغير ذلك من منشآت[2]، وإن كان هذا النمو الاقتصادي تم في ظرف أربع سنوات[3] تحولت تيهرت من قرية صغيرة تقبل المساعدات الخارجية إلى مدينة غنية عامرة ، وذلك راجع إلى تلك الموارد المالية التي ساعدت على تطور المدينة والمورد الأساسي الذي اتخذته الدولة الرستمية في مختلف الأطوار وجودها يتعلق بالتجارة التي جعلتها مركزا هاما مدة قرن ونصف تقريبا[4] ويذكر ابن الصغير في هذا الصدد ": فأقاموا على ذلك سنين أو أقل أو أكثر والعمارة زائدة والناس والتجار من كل الأقطار "[5] .

وعليه تتضح لنا تلك العلاقة الجدلية بين الازدهار التجاري والتطور والاتساع العمراني[6]حتى ازداد عدد المنازل وبنيت القصور التي تعتبر ظاهرة حية تعبر عن المستوى الحضاري الذي بلغه الرستميين ، أما عن تزويقها وإحاطة المتنزهات والحدائق فهي ظاهرة تتم عن السمو في الذوق وتعكس حياة الترف التي دبت في المدينة .

لاسيما مع زيادة عدد الوافدين إليها وهجرة الناس الذين ساهموا في تقدمها المعماري بعدما حملوا معهم مؤثرات بلدانهم خاصة العراقيين والأندلسيين الرائدين في مجال الصنائع وبنوا أحياء خاصة بهم حيث نجد باب من أبواب تيهرت يعرف بباب الأندلسيين ، أما قصور ومتنزهات الرستميين غلب عليها أسلوب ونمط الأندلسيون ، كما أنها كانت شبيهة بقصور الشام حيث تحيط بها أشجار النخيل والتين والرمان[7]، ظهر كل هذا جليا على عهد الإمام أفلح

---

[1]- ابن خلدون ، المقدمة ، ص 354.

[2]- ابن الصغير ، المصدر السابق ، ص 38

[3]- وهراني ، جوانب من التاريخ الاجتماعي ، ص 214.

[4]- المرجع نفسه ، ص 214.

[5]- ابن الصغير ، المصدر السابق ، ص 36.

[6] - الطرابلسي ، المرجع السابق ، ص 05 ، كما صاحب هذا الاتساع تطور ديمغرافي.

[7] - جودت عبد الكريم ، الأوضاع الاقتصادية ، ص 334 ، 335 ، 349 ، كما يضيف نقلا عن ابن الصغير أن العجم بنو القصور ، و الجند القادمون من إفريقية قد بنو المدينة العامرة ، المرجع نفسه ، ص 349.

حيث تنافس الناس على البنيان وذكر ابن صغير قصري الأخوان إبان و حمويه : " خرجا يوما إلى قصورهما متنزهين" [1] ، مما يوحي أن لكل قصر حديقة تحيط به وهي نفس مؤثرات العجم في هذا الميدان وما يؤكد أن النمط العمراني في تيهرت يشبه إلى حد كبير ذاك الذي بالمدن المشرقية الكبرى ومدن الأندلس قول المقدسي : "... يفضلونها على دمشق و أخطأوا وعلى قرطبة وما أظنهم أصابوا ، هو بلد كبير ، كثير الخير رحب ... محكم الرصف عجيب الوصف ..." [2] وقد وصف لنا ابن صغير أحد القصور: " كان لمحمد بن حماد منزل يقال له المثلث وقد جمع الأشجار والأنهار والمزارع والنخل والقصور ... "[3] .

وذكر بعض الباحثين أن تجارة الذهب والرقيق لعبت دورا فعال في جعل المدن الرستمية مراكز عمرانية متطورة نشطة[4]، فاستعمل الذهب في صناعات مختلفة كالأواني التي اقتناها أصحاب القصور لتزويقها و بنائها ، أما الرقيق فشكلوا اليد العاملة المؤهلة والنشيطة في مجال البناء .

وعليه كانت التجارة عصرئذ مصدر الثروة الكبيرة التي تجمعت بالمدينة ، فتطورت هذه الأخيرة حضاريا بفضل تلك الثروة .

وإن كان المغرب تميز قبلا بعمران بدوي ، فكانت السمة الأساسية البارزة على عهد الدولة الرستمية هي انتقال من مرحلة العمران البدوي إلى مرحلة العمران الحضري ، وهذا التطور التاريخي الذي انطلق منه ابن خلدون حيث قال : " ومما يشهد لنا أن البدو أصل للحضر ومتقدم عليه فنشأ أهل مصر من الأمصار وجدنا أكثرهم من أهل البدو الذين بناحية ذلك المصر أو في قراه ، وأنهم أيسروا فسكنوا المصر وعدلوا إلى الدعة والترف الذي في الحضر وذلك بدل على أحوال الحضارة ناشئة من أحوال البداوة ،و أنها أصل لها فتفهم "[5] .

---

[1]- ابن الصغير ، المصدر السابق ، ص 62.

[2]- المقدسي ، المصدر السابق ، ص 228.

[3]- ابن الصغير ، المصدر السابق ، ص 106.

[4]- الطرابلسي ، المرجع السابق ، ص 17.

[5]- ابن خلدون ، المقدمة ،ص 352.

والغرض من ذكرنا لنص ابن خلدون هو إبراز الدور الاقتصادي ودور التجارة بالخصوص في تطور المدن بل أكثر من هذا فقد ازداد عدد المدن وتطورت بعض القرى إلى مدن.

2-1 دورها في تطور المجتمع :

انعكس ذاك الإزدهار التجاري على البنية الاجتماعية ، فحدث تغيير كبير مصاحبا معه تطورا حضاريا عرفته الدولة الرستمية ، ومن سمات ذاك الإزدهار الاستقرار الذي هو أساس المجتمع الحضري ، فهناك العديد من القبائل[1]، التي استوطنت المدينة وتجاوزت بداوتها وأصبح موردها ومصدر عيشها إلى جانب الفلاحة وتربية المواشي التجارة وهي الأسلوب الملائم في هذه الفترة لما يرتبط بها من صنائع وحرف[2].

ومن ناحية أخرى كانت أولى نتائج ذاك الازدهار التجاري الهجرة حيث أصبحت تيهرت وغيرها من المدن الرستمية قبلة لعدة ملل ونحل في إطار تسامح مذهبي ، ديني وسياسي اعتمدت عليه الدولة ، وما يهمنا في دراستنا أن الدولة الرستمية سمحت للجميع بممارسة النشاط التجاري ، وهذا ما كان دافع جل الوافدين إليها[3] ، فتشكلت فسيفساء احتوت عدة قبائل وفئات تنتمي إلى أجناس وأديان مختلفة أثرت في تكوين المجتمع الرستمي وحتى في نمط المعيشة فيه وفي الحقيقة هو تكوين غير متجانس[4]، حسب رأي العديد من الباحثين والمؤرخين لكن في المقابل لا نغفل ذاك الانفتاح والتبادل الحضاري والثقافي بين الحواضر والمراكز التجارية في المنطقة من جهة وذلك من خلال الأسواق الداخلية المقامة التي لم تقتصر فقط على تأدية العمل التجاري ، بل لها وظائف أخرى اجتماعية وثقافية وتربوية فيذكر الإدريسي عن الأسواق : " يباع بها و يشتري و يقضى منها حوائج أخرى"[5] كتلك

---

(1) - من بين القبائل المستقرة نفوسة ، لواتة ثم هوارة ،ينظر و هراني ، المرجع السابق ، ص 217 ، كما يذكر البكري في حديثه عن مدينة تيهرت وقت بنائها أنه كانت تحيط بها قبائل لواتة و هوارة و زواغة ، مطماطة وزناتة و مكناسة ،ينظر البكري ، المصدر السابق ، ص 67.

(2)- جودت عبد الكريم ، الأوضاع الاقتصادية ، ص 255.

(3) وهراني ، جوانب من التاريخ الاجتماعي ، ص 216 ،رفيق بوراس ، الأوضاع الإجتماعية بالمغرب في عهد الخلافة الفاطمية (296-362هـ /968-972م) ، رسالة ماجستير ، جامعة منتوري ، قسنطينة ،2008م ، ص58 ،59.

(4)- جودت عبد الكريم ، الأوضاع الاقتصادية ، ص 255 ، محمود إسماعيل ، الخوارج ، ص 285.

(5)- الإدريسي ، المصدر السابق ، ص 256.

المناظرات التي كانت تجرى وأيضا نصائح ، و وعظ العلماء والفقهاء ، وحتى الدعوة لمذهب ما[1].

وبين الثقافات والحضارات الخارجية من جهة ثانية التي هبت من المشرق و من إفريقية والأندلس ، فتأثرت الحضارة الرستمية بالعديد من الحضارات منها الفارسية والفينيقية وغيرها وكان هذا أثر التجارة البعيدة ، وعن تلك الهجرة يتحدث اليعقوبي : "... المدينة العظمى مدينة تاهرت جليلة المقدار عظيمة تسمى عراق المغرب إنها أخلاط **من** الناس ، غلب عليها قوم من الفرس"[2] .

وعليه شبهت تيهرت بالعراق الصاخبة بمختلف الملل والأجناس[3] ، يضيف ابن صغير : " وأتتهم الوفود والرفاق من كل الأمصار وأقاصي الأقطار " [4].

أما عن المعيشة بتيهرت يذكر المقديسي : "انتعش فيها الغريب ، واستطاب بها اللبيب"[5] وبطبيعة الحال اتخذت كل جماعة لنفسها حيا ، بنت فيه ما تحتاجه كالمساجد حيث يذكر ابن صغير عنها : " وهذا مسجد البصريين ومسجد الكوفيين ..." [6].

ونقلت تلك الجماعات معها عادات وتقاليد الأجداد وحتى نمط عيشها ،ويضيف ابن صغير : "حتى لا ترى دار إلا قيل هذا الفلان الكوفي وهذا الفلان بصري وهذا الفلان القروي" [7] وإن اتضح لنا من إشارات ابن صغير أن هذه الجماعات من العرب ذكر اليعقوبي أن تيهرت غلب عليها قوم الفرس[8] ، يضاف الجند الأفارقة ، والأندلسيون الذين شكلوا فئات مهمة سواء

---

(1)- جودت عبد الكريم ، الأوضاع الاقتصادية ، ص 136،137.

(2)- اليعقوبي ، المصدر السابق ، ص 12.

(3)- الباروني ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 10.

(4)- ابن الصغير ، المصدر السابق ، ص 61.

(5)- المقدسي ، المصدر السابق ، ص 338.

(6)- ابن الصغير ، المصدر السابق ، ص 36.

(7)- المصدر نفسه ، ص 36.

(8)- اليعقوبي ،المصدر السابق،ص12، يذكر محمود إسماعيل أنهم شكلوا قوة لها وزن و شبهها بدول داخل دولة ،ينظرمحمود إسماعيل، الخوارج، 289.

في المجال التجاري أو حتى السياسي تبعا للأحداث التي جرت في الدولة[1] ، أما العبيد تواجدوا بكثرة نتيجة لتوسع النشاط التجاري مع السودان الغربي، أما عن أصحاب المذاهب فنجد المعتزلة والمالكية وحتى الشيعة ولا ننسى إباضية المشرق أما أهل الذمة فمنهم المسيحيين الذي أشارابن صغير إلى وجودهم فقال :"فصعد على أعلى موضع بالمدينة يعرف بالكنيسة"[2] ، واليهود الذين ذكرنا سابقا أنهم أهل تجارة فيذكر محمود إسماعيل أن الرهادنة عاشوا في أحياء خاصة وهيمنوا على الكثير من الأنشطة التجارية[3] ، على كل جميع هذه الفئات على اختلافها اشتغل بالتجارة[4]، بل كانت التجارة رابطا قويا بينها لتحقيق أرباح وفعلا حققوا مع الرستميين أرباحا طائلة أفرزت ظهور طبقات وتوسيع فئات معينة كونت هرم المجتمع الرستمي آنذاك وأولها طبقة الأثرياء[5] و ما يلفت الانتباه تصدر الأئمة الرستميين لهذه الطبقة من بينهم الإمام عبد الوهاب نفسه، الذي عمل بالتجارة قبل توليه الإمامة ، واتسعت تجارته حتى قال عن نفسه : " لو لم أكن أنا وابن جرني وابن زلغين لأغنينا بيت مال المسلمين"[6] كما علمنا عن ابن وردة الفارسي الذي ابتنى سوقا يعرف به على عهد الإمام أفلح[7] وأيضا من التجار الأثرياء ابن الواسطي وأبو محمد الصيرفي ومن اسمه يتضح لنا وجود نظام الصيارفة[8] وبالتالي يعكس لنا مدى التطور الذي وصل إليه الرستميون في مجال المعاملات مرتكزين على التجارة لنمو الحياة الاقتصادية ، كما يجدر بنا الإشارة إلى أن تجار العراق من البصريين و الكوفيين حذقوا بهذا الأسلوب من التعامل[9]، و ربما هم من جلبوه

---

(1)- لقد شكلت هذه الفئات قوة لنفسها و أصبحت تشارك في الحياة السياسية و تدعم طرف دون آخر ثم تتطور لتنشب ثورات بينها ، أي بين العجم و العرب و الجند ، ينظر الحريري ، المرجع السابق ، ص 159 ، 160 ، 161.

(2)- ابن الصغير ، المصدر السابق ، ص 114.

(3)- محمود إسماعيل ، الخوارج ، ص 283 ، بشيرعبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص 46 ، 47.

(4)- هناك أسباب أخرى كالهروب من اضطهاد الحكام في اطار مذهبي فوجدوا في كنف الرستميون أمن و اطمئنان أساسه العدل و المساواة .

(5)- وهراني ، جوانب من التاريخ الاجتماعي ، ص 134.

(6)- جودت عبد الكريم ، الأوضاع الاقتصادية ، ص 234.

(7)- الباروني ، المرجع السابق ، ج2 ، ص 137.

(8)- هو مزاولة الصرف بين العين و الورق في التفاضل بين النقود المختلفة ، ينظرجودت عبد الكريم ، الأوضاع الاقتصادية، ص 238.

(9)- المرجع نفسه ، ص 238.

إلى تيهرت .

وإن مثل ممتهنوا التجارة من طبقة الأثرياء كبار التجار، فهناك فئة أخرى عرفت بفئة صغار التجار أصحاب الحوانيت المختلفة في المدينة يعتمدون على ما يحققونه من ربح في تجارتهم الداخلية ومن عامة الناس ، وكما ذكرنا سابقا لم تقتصر ممارسة النشاط التجاري على فئة معينة أو طبقة معينة .

يتضح لنا أن ازدهار النشاط التجاري أفرز طبقية واضحة في المجتمع وظهور فئات عديدة نتيجة لذلك [1] كفئة العبيد أو الخدام المجلوب من السودان الغربي خاصة ، فبعدما كان امتلاكهم مقتصرا على الأمراء والأسر الحاكمة ، تعداه للأثرياء في ظل توسع التبادل التجاري[2] فالتجار وأصحاب القوافل كانوا بحاجة إلى عمال وحراس لقوافلهم وتجارتهم [3].

مع العلم أن ظاهرة الرقيق والعبيد أصبحت سمة أساسية تميز المجتمع ويقاس بها التقدم الذي وصلت إليه حضارة ذاك العصر وبالخصوص تميز الحياة التجارية في القرن الثالث هجري والتاسع ميلادي ، ذاك هو الحال للدولة الرستمية ، وفي توافر عدد العبيد يذكر الإدريسي : "... ويخفونهم حينا من الدهر ثم يبيعونهم من التجار الداخليين إليهم بأبخس الثمن ويخرجونهم إلى أرض المغرب ويباع منهم في كل سنة أمم وعدد لا تحصى وهذا الأمر الذي جئنا به من سرقة قوم أبناء قوم في بلاد السودان طبع موجود فيهم" [4]، يبدو أن الحاجات الاقتصادية للمجتمع تزايدت فازدادت معها الحاجة للعبيد والخدام[5].

---

[1]- نتيجة لذلك الترف و توسع طبقة الأثرياء تواجد العيارون و هم لصوص ظهورهم كان على عهد الإمام أبي اليقظان ، و هذا كان من سلبيات ذاك الازدهار ، ينظر ابن الصغير ، المصدر السابق ، ص 79 ، و نحن لا ننفي ظاهرة الفقر على عهد عبد الرحمن بن رستم و إنما اختلفت حيث أن المجتمع أنذاك كان بسيطا أما مع التطور الحاصل في مصادر الثروة و في أولها التجارة أصبحت ظاهرة الفقر بسبب تنامي الثروة في طبقة معينة .

[2]- الطرابلسي ، المرجع نفسه ، ص 09 ، وهراني ، جوانب من التاريخ الاجتماعي ، ص 135.

[3]- ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 118.

[4]- الإدريسي ، المصدر السابق ،ص 20.

[5]- و يبدو أن تلك الحاجات حالت دون تيسير انتقال العبيد من حالتهم إلى حالة الحرية ، و إن وجدت إشارات غير مباشرة تبيت أن العبيد و الخدام في الدولة الرستمية عملوا على تحرير أنفسهم بعد غيابهم بأعمال خاصة ، و كما سمحوا لهم بالتعليم حيث قال أحد الرستميين :"معاذا الله أن تكون عندنا أمة لا تعلم منزلة يبيت فيها القمر" ،ينظر بحاز إبراهيم ، المرجع السابق ، ص 377 ، فإذا كان هذا منوطا بالأمة فلا يستبعد أن يكون هذا وضع جميع العبيد.

مع تطور المجتمع الرستمي وجب توسيع نظام الشرطة والمحتسب في ظل ذاك التنوع الاجتماعي الذي عرفه ، فجهاز الشرطة هو مظهر حضاري وإداري فرض نفسه نتيجة نمو المجتمع ، وكثرة المال وعظم شأنه خاصة على عهد الإمام أفلح حيث قال ابن صغير:"... وقد عمرت معه الدنيا وكثرت الأموال ... وأتته الرفاق والوفود من كل الأمصار والآفاق بأنواع التجارات"[1]، أما على عهد الإمام أبي اليقظان رأينا بوضوح تولي نفوسة مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2]، وقد تميز هذا الجهاز باستقلاله عن القضاء ولم يخضع أصحابه للإدارة المباشرة سواء الإمام أو الوالي ، فتمتع بخصوصيته ميزته عن نظيره في المشرق حيث كان هذا الجهاز سليل جهاز القضاء هناك[3].

كما توسعت مهام تلك الجماعات التي تولت مهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بكل الوسائل الممكنة فكانت بمثابة سلطة دينية ودنيوية تسعى للرقي الحضاري في المحافظة على خصوصية المجتمع الديني .

نظرا للمكانة التي وصلت إليها التجارة والتجار تجاوز تأثيرهم المجال الاقتصادي وحتى الاجتماعي ليتعداه إلى المجال السياسي ، فالتجار لا يعودون إلى تيهرت والمدن الرستمية محملين فقط بالسلع ومختلف البضائع وإنما أيضا مزودين بثقافة واسعة اكتسبوها من تجوالهم وأسفارهم فكانت لهم المكتبات التي تحوي أندر الكتب ، وقد بعث الإمام عبد الوهاب مالا مع تجار إلى المشرق ليشتروا له كتب حيث ذكر أبو زكريا ذلك :" بعث ألف دينار إلى إخوانه من أهل المشرق أن يشتروا بها الكتب ... "[5] .

وهنا يجرنا الحديث للتطرق عن المكتبة المعصومة التي احتوت على نوادر المحفوظات ونفائس الكتب ما يؤسف لفقدانه اليوم و يقال أنها تشتمل على ثلاثمائة ألف مجلد[6] .

---

[1]- ابن الصغير ، المصدر السابق ، ص 61.

[2]- ينظر الفصل الثاني ، مبحث ، ص

[3]- وهراني ، نظام الشرطة ، ص 04.

[5]- أبو زكريا ، المصدر السابق ، ص 55.

[6]- مصطفي باديس أوكيل ، "أثر الرستمية في ازدهار الحضارة" ، المجلة الخلدونية ، ع . أكتوبر، 2009 ، ص 215 ، 216.

إلى جانب ذلك جلبوا التحف التي زينت بها القصور والطرائف التي ينقلوها إلى مجتمعهم كما أنهم اطلعوا على أنماط عيش مغايرة [1]، وأنظمة حكم وغير ذلك ، مما خولهم أن يدخلوا مجلس الجماعة ، وأصبحوا من أهل العقد و الحل ومن البطانة [2] والحاشية[3] كما وجد منهم من تولي منصب ببيت المال نظرا لخبرته في الشؤون المالية ، وعليه تولى التجار العديد من المناصب العليا في الدولة ، كما امتهن أصحاب المناصب العليا التجارة كما هو الحال بالنسبة لمحمد بن عرفة سفير الإمام أفلح لبلاد كوكو[4] .

على كل فرضت طبيعة عمل هؤلاء التجار أن يكونوا على اتصال وثيق بالسلطة خاصة[5] بعدما أضحت لهم مكانة اجتماعية مرموقة تأثر في الناس ، فيساعدون المحتاجين ويساهمون في بناء المساجد كما هو الحال في عواصم المغرب القيروان وفاس .

كما لا نغفل الدور الذي قام به التجار الغير الرستميون كالقادمين من المشرق والأندلس وتجار السودان الغربي ، فقد حملوا معهم ثقافتهم وحضاراتهم إلى الدولة الرستمية ورأينا تأثيرها كما هو الحال بالنسبة للتاجر الرستمي وسنتطرق لدوره الحضاري خاصة ودور التجارة عامة .

---

[1]- و في ذلك ما جبله التجار من حيوانات دخيلة على المنطقة من السودان الغربي ، و استعملت في الحدائق و كذا السيرك للترفيه و غير ذلك.

[2]- اتخذ الرستميون البطانة ، و تعداه لكبار الشخصيات كمحمد بن عرفة و ذلك لمجابهة المناهضين و تشكيل قوة مهابة،ينظر جودت عبد الكريم ، الأوضاع الإقتصادية ، ص 286.

[3]- تطلق على جماعات مصاحبة للإمام يستمد منهم قوته و هيبته ، المرجع نفسه ، ص 287.

[4]- أشهر الممالك التي كانت لها علاقة وثيقة بأئمة تيهرت تقع هذه المملكة شرق نيل غانا الذي ينبع منه بحيرة كوري (تشاد) ، تبعد عن تيهرت مسافة ثلاثة أشهر تقريبا ، ابن سعيد ، المصدر السابق ، ص 93 ، ينظر الإدريسي ، المصدر السابق ، ص 44،45.

[5]- جودت عبد الكريم ، الأوضاع الاقتصادية ، ص 287.

2- دورها الحضاري على المستوى الخارجي :

تنحصر الدولة الرستمية بين واجهتين تجاريتين هامتين هما : الواجهة البحرية و الواجهة الصحراوية[1] ، فتطورت و تنوعت المسالك التجارية لتمثل شبكة هائلة أدت مهمة الاتصال بحضارات العالم و نقل الحضارة الرستمية ، بعدما أصبحت مساهمة الرستميين في التجارة العالمية بالغة الأثر، و من آثار استعمال و تأمين تلك المسالك و الطرقات استفادت القبائل المقيمة بقربها و الطاعنة في الصحراء من ذاك النشاط التجاري حيث كانت تستقبل القوافل[2] وتعمل على راحتها و تزويدها بما يلزم ، كتوفير المياه و تأجير أو بيع الابل للتجار، فضلا عن مرافقة القوافل كأدلاء مقابل ضرائب تدفعها[3] و نتيجة لتطور الحاصل في المنطقة تحول قطاع الطرق من رعاة إلى حامين لتلك القوافل[4] ، مع أننا لا ننفي وجود أخطار بعض هؤلاء على القوافل ، وعموما أصبحت القبائل[5] الرحل سيدة الصحراء التي امتلكت مصير الطرق التجارية، لتولد احتكاكا واضحا بين القبائل والقوافل[6] ونظرا لصعوبة العيش في الصحراء و مشقة الطرق كان لابد من التعاون الذي نجم عنه تكتلات قبلية وتحالف بين مختلف الأطراف فالتجارة عبر الصحراء كان لها دور أساسي في دعم العلاقات ونمو الحياة الاقتصادية التي عدة المحرك الأساسي لنمو الحياة الاجتماعية و بالتالي بروز آثار حضارية جلبها الوافدون على هذه المناطق و أصبحوا جزءا من تكوين هذا المجتمع ، مع ظهور تجمعات سكانية في مختلف مراكز التجارة المؤسسة على طول المسالك التي كانت تربط السودان

---

(1)- الطرابلسي ، المرجع السابق ، ص 06،07.

(2)- سليمان بن قاسم بن محمد العيد،النشاط الاقتصادي للمعتزلة في بلاد المغرب ،(إ.ع.م 2013/12/02)، [www.alukah.net/culture]، ص 11.

(3)- ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص، 98،102.

(4)- العيد سليمان ، المرجع السابق ، ص 11.

(5)- من هذه القبائل نفوسة و لواتة ، ينظر جودت عبد الكريم ، العلاقات الخارجية ، ص 238.

(6)- العيد سليمان ، المرجع السابق ، ص 14.

الغربي بتيهرت[1] ، كطريق تيهرت سجلماسة الذي سكنه أهل العراق[2] و السودان وعاش فيها المغاربة ، الأندلسيون ، اليهود ، أهل السنة ، الشيعة ، الخوارج و المعتزلة[3] بحكم و قوعه على طريق غانة التي اشتهرت بالتبر[4] ، ما أدى إلى تأسيس هؤلاء مدينة خاصة في غانة[5] ، حيث اشتهرت هذه المدينة بنشاط واسع لتجار البصرة و الكوفة منذ وقت مبكر ، و قد أشارت إحدى الدراسات إلى أن المذهب الذي اعتنقوه هو المذهب الاباضي[6] .

و بفضل التجارة المزدهرة أنشأت عدة مدن سودانية كانت في بادئ الأمر أسواقا للمسلمين ثم نمت و اتسعت ، فشقت الطرق و حفرت الآبار لتتطور لاحقا أكثرو ينتقل إليها الناس ويستقروا بها ، و قد تمكن المسلمون هناك من تشييد اثني عشر مسجدا فكثر الفقهاء و الأئمة و العلماء[7] و ذكر الإدريسي أن من قصد غانة و المراكز التجارية هناك هم تجار مياسير من جميع البلاد[8] ، ذلك لما تدره تجارة الذهب و الرقيق من ربح.

و بذلك لعبت تجارة القوافل دورا أساسيا في تعمير و تأهيل تلك المناطق المقفرة و كنتيجة حتمية لازدهار النشاط التجاري بفضل حركة القوافل بنيت المرافق العمرانية في العديد من المراكز لتلبي حاجة التجار والقوافل و بعد انتشار الإسلام في هذه النواحي ستعرف تطور أكبر فتصبح تلك المسالك التجارية ممرات للحجاج نحو المشرق ، و قيام طلبة العلم

---

(1)- الجنحاني ، المرجع السابق ، ص 15.

(2)- ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص 65.

(3)- مؤنس ، معالم تاريخ المغرب ، ص 361.

(4)- البكري ، المصدر السابق ، ص 158.

(5)- العيد سليمان ، المرجع السابق ، ص 10.

(6) - المرجع نفسه ، ص 10.

(7)- أحمد الفيتوري ،"الجاليات العربية في بلاد السودان"، مجلة البحوث التاريخية ،ع. 2 ،السنة الثالثة ،1981م ،(إ.ع.م 2014/02/13م)، [www.alukah.net/culture] ،ص 246 .

(8)- الادريسي ، المصدر السابق ، ص 23.

و العلماء بالرحلات العلمية [1] ، أما عن المراكز التجارية فأصبحت مراكز التقاء تجاري و حضاري.

لقد رأينا سابقا الدور الحضاري الذي قامت به التجارة في الدولة الرستمية و ما صحبته من مؤثرات حضارية مختلفة كان لها تأثيرها على المجتمع ، بالمقابل لعب تجارها و تجارتها نفس الدور ، و بمجرد الاتصال بالمناطق الصحراوية و في مقدمتها **السودان الغربي** حتى ظهرت آثار ذلك الاتصال[2] المرهون بعلاقات تجارية وطيدة و مستمرة ، و لم تكن كلمة تاجر تختص بالسلع فحسب بل كان لها مفهوم واسع ، فالتجارة أنداك لم تقتصر على تبادل السلع و نقلها بل كانت أيضا وسيلة لنقل الأفكار و الثقافات[3] ، و كان التاجر غالبا من العلماء ، فتجهيز القوافل و ما إلى ذلك كان بيد كبار التجاريين من مختلف الملل[4] ، زد على ذلك أن التبادل التجاري كان يحوي بضائع مختلفة تحمل في طياتها تأثيرات حضارية و فكرية ، إلى جانب صفات التاجر النشط الذي صار بإمكانه التنقل من قطر لآخر و مدينة و أخرى يشتري و يبيع[5]، و ما كان أن يمر ببلد دون أن يتعرف على أهلها و يخبر أحوالهم و كانت هذه المعرفة تنقل رواية و أخبار فأصبحت جزءا من التراث الأدبي للرحلة ، خاصة أن التجار الرستميون اتصفوا بالحذق و البراعة و الأمانة في المعاملات التجارية كل هذه الصفات الحميدة التي اتصف بها التاجر الرستمي[6] ، جعلت أهل السودان الغربي يتقربون منه، و يتأثروا به ليظهر ذلك في سلوكهم و ملبسهم و طرق عيشهم و تجارتهم[7] ، فأهل

---

[1]- بالإضافة للنشاط التجاري لعبت الرحلة العلمية دورا هاما في نقل الحضارة العربية الاسلامية للمنطقة فلا يمكن إهمال ذلك بأي شكل من الأشكال.

[2]- الحريري ، المرجع السابق ، ص 22.

[3]- العيد سليمان ، المرجع السابق ، ص 05.

[4]- وهراني ، جوانب من التاريخ الاجتماعي ، ص 136 ، لا يمكن أن نعتبر أن كل تاجر يخرج من تيهرت هو إباضي خاصة بعد أن علمنا أن تيهرت ضمت مختلف الملل و النحل .

[5]- مطهري ، المرجع السابق، ص 04 .

[6]- بدل الإسلام من مظاهر الحياة هناك ،ينظر إبراهيم محمد أحمد بلولة ،الهجرات والقوافل التجارية عبر الصحراء و أثرها في نشر الإسلام و الحضارة الإسلامية ،(إ.ع.م 2014/01/29)،[www.djelfa.info] ، ص 13 .

[7]- الحريري ، المرجع السابق ، ص 212 ، الباروني ، المرجع السابق ، ج 1 ، ص 184.

كوكو لبسوا القداوير أي الجبب و الأكسية و وضعوا على رؤوسهم الكرازي[1] ، و إلى جانب مختلف الألوان الحضارية التي حملها التجار معهم حملوا إسلامهم[2] ، و عموما التجار المسلمون لم يكونوا الأنشط في التجارة فحسب بل و في نشر الإسلام و تمثيله في أحسن صورة فالرستميون أول من وضعوا البذور الأولى لحركة انتشار الإسلام في تلك النواحي[3] و قد أكد ماسكري أن الإسلام وصل بلاد غانة عن طريق التجار الاباضية من رعايا الدولة الرستمية [4] ، خاصة بعد تحول الطريق التجاري القديم الرابط بين غانة و مصر نحو بلاد المغرب ليمر بالدولة الرستمية جاعلا من تيهرت و سجلماسة مراكز تجارية.

و كثيرا ما كان يرافق القوافل التجارية عدد من فقهاء المسلمين الذين خالطوا أهل بلاد السودان الغربي ، فكان الأثر الذي تركه التجار المسلمون في نفوس الأهالي أكثر بكثير من الذهب الذي يحصلون عليه[5] ، و تعتبر جهود الفقهاء الأسس التي قامت عليها دولة مالي[6] الإسلامية.

و قد أورد البغطوري رواية تدل على اعتناق أحد ملوك زغاوة[7] أو بلاد الكانم[8] الإسلام على يد أحد مشايخ نفوسة و نصت على أن :"أبا يحي النفوسي سافر إلى بلاد السودان ، فالتقى ملكهم ناحل الجسم ، ضعيف القوى ، فقال له :ما بك ؟ ، قال : خوف الموت قال فأخبرته عن الله و صفاته سبحانه ، و الجنة والنار و ما أعد الله للمطيع و العاصي، فكذبني و قال : لو صح عندك ما تقول لما بلغت إلينا تطلب الدنيا فما زلت أذكر الله و نعمائه حتى أسلم و حسن

---

[1]- الادريسي ، المصدر السابق ، ص 45.

[2]- دبوز علي ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 345.

[3]- اسماعيل محمود ، الخوارج ، ص 299.

[4] - جودت عبد الكريم ، العلاقات الخارجية ، ص 286 ، كان اعتناق ملك غانة الإسلام على يد علي بن يخلف تاجر وعالم إباضي عاش في القرن الخامس هجري ،ينظر السعدي مهنا ، المرجع السابق ، ص 08.

[5]- الحريري ، المرجع السابق ، ص 212 ، دبوز علي ، المرجع السابق ، ج3 ، ص 345.

[6]- تكونت مملكة مالي على الترتيب من الشرق بلاد تكرور، ثم كوكو ، مالي ، صوصو و غانة ، كل مملكة مستقلة بذاتها عن الأخرى ، ينظر الحريري ، المرجع السابق ، ص 211 ، تهميش رقم 91.

[7]- مملكة الزغاوة مملكة عظيمة من ممالك السودان في حد المشرق منها مملكة النوبة التي بأعلى صعيد مصر ، هم أمم كثيرة ، ينظرالحموي المصدر السابق ، ج3 ، ص 142.

[8]- محمود إسماعيل، الخوارج ، ص 299.

إسلامه"[1] ، و ايراد عبارة "لما بلغت إلينا تطلب الدنيا" تشير إلى ترحال هذا الشيخ النفوسي لبلاد الكانم لغرض التجارة مصطحبا معه علمه ليكون تاجرا عالما وداعيا ما يؤكد أيضا أن الإسلام وصل إلى هذه النواحي عن طريق التجارة الاباضية.

كما صاحب ذاك الاحتكاك والاختلاط بين التجار والأهالي معرفة لغة الآخر فسارت اللغة العربية مع إنشار الإسلام و تواجد الكثيرين ممن تكلموا و أجادوا اللغة العربية إلى جانب لغتهم[2] و بالمقابل عرف أهل جبل نفوسة اللغة الكانمية ، ذلك ما نستشفه من ذكر الشماخي في كتابه السير لوالي الجبل أبا عبيدة قال :"فأتى أبا عبيدة رجل نكاري فقال له :لا طاقة لك اليوم بخلف و عساكره فحلف أبو عبيدة بكل لغة يحسنها من عربية و بربرية وكانمية و غيرها لأقاتلهم"[3] .

ومن المؤثرات الإباضية التي تركها التجار تمثلت في بعض ما شاهده ابن بطوطة فأشار إلى وجود المذهب الإباضي في قرية زغري في بلاد السودان [4] ، وربما ترجع بذور هذا الوجود إلى العهد الرستمي، و أثير النشاط الثقافي و الديني لجماعات الاباضية فلوحظ شكل مدرج المنارة الواسع في بلاد السودان الغربي أخذ من إباضية الجريد و أيضا شكل

---

[1]- مقرين بن محمد البغطوري ، سيرة مشايخ نفوسة ، تح توفيق عياد الشقروني ،د.ط ، مؤسسة تاوالت الثقافية ، د.ب ،2009م ،ج1، ص 65.

[2]- الحريري ، المرجع السابق ، ص 213.

[3]- صالح مفتاح معيوف ،جبل نفوسة و علاقته بالدولة الرستمية (من منتصف القرن الثاني الهجري إلى أواخر القرن الثالث هجري) ،د. ط ، :مؤسسة تاوالت الثقافية ،د. ب،2006م ، ص 135 ،أما البغطوري فيذكر أن أبا عبيدة حلف فقال:" "والله" بالعربية ،"أيكش" بالبربرية،"ايردنو" بالحضرية " ومعناه أن أبا عبيدة حلف باسم الله بثلاث لغات (العربية ،الأمازيغية و الحضرية)،ينظر البغطوري ،المصدر السابق ،ج1، ص 128،129 ، أما أبو زكريا فيذكر أن الإمام عبد الوهاب هو من قالها ،ويورد محقق الكتاب أن كلمة "أيردنو" باللغة الحضرية قد تكون « Par Dieu » باللاتينية، في نظره أن اللغة اللاتينية كانت لا تزال مستعملة في بعض الأوساط أنداك ، ينظر أبو زكريا ، المصدر السابق ، ص، 82 ، 84.

[4]- أبو عبد الله محمد بن عبد الله إبراهيم اللواتي شمس الدين ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة ،ط2، دار النفائس ،بيروت ، 2004م ، ص 680.

المحراب[1] أي أنهما يرجعان إلى فن العمارة الدينية في شمال إفريقيا[2] .

رغم ذلك ظل هذا التأثير بسيطا طيلة العهد الرستمي ، و نسبيا سببه التجار ، وعلى حد قول جودت عبد الكريم :"التبشير الثقافي في بلاد السودان في تلك الفترة كان عملا فرديا عفويا"[3]،ليضيف أن الدولة الرستمية وحكامها آثروا الاشتغال بالتجارة على نشر المذهب[4] في المقابل لا يمكن إنكار أن ذاك الاهتمام بالتجارة ، خاصة فيما يخص تأمين الطرق و المراكز كان وراء نشر البذور الأولى للإسلام ، و الحقيقة أن التجارة هي من أوصلت الإسلام إلى تلك النواحي ، و بالتالي ساهم الرستميون في إحياء و ازدهار بلاد السودان الواقعة وراء الصحراء ، عمرانيا ، ثقافيا و تجاريا .

إن كانت المراكز التجارية مثلت منافذ أو موانئ داخلية لمرور التجار الرستميين[5] محملين بمختلف البضائع مصطحبين معهم زخما حضاريا لبلاد السودان الغربي ، فإن الموانئ على ساحل البحر الأبيض المتوسط كانت همزة وصل بين تيهرت و أموي الأندلس، و رغم الاختلاف المذهبي إلا أنه لم يؤثر على سير العلاقات بينهما و أدى طيب العلاقة السياسية واستمرار العلاقة الاقتصادية إلى دعم الروابط الثقافية ، و إن برز تأثير الأندلسيين في الدولة الرستمية ،حتى استعملوا أوزانهم فقد ذكرنا سابقا أن قنطارهم هو قنطار قرطبة، فوجد تأثير رستمي في **بلاد الأندلس** لاسيما في مناطق التبادل التجاري و عرفت مذهبهم الإباضي

---

[1]- جودت عبد الكريم ، العلاقات الخارجية ، ص 284.

[2]- لم يعثر على آثار تكشف لنا عن فن الهندسة المعمارية الدينية في تيهرت " و كل ما عرف عن شكل المسجد أنه عبارة عن بيت فيه اثنتا عشرة دعامة أسطوانية الشكل مرتبة على ثلاثة صفوف تشكل خمسة أساليب و أربع بلاطات و كانت عشرون قبة مربعة القاعدة تعلو بيت الصلاة "، ينظر المرجع نفسه ، تهميش رقم 02 ،ص 284.

[3]- المرجع نفسه ، ص 285.

[4]- اهتم الرستميون بالأمن والاستقرار شأنهم شأن جيرانهم الأدارسة و المدراريين و حتى الأغالبة و للمحافظة على ذلك كان لابد من عدم إتباع سياسة توسعية تهدف لبسط النفوذ السياسي أو المذهبي ، و ربما أي محاولة رامية لنشر المذهب في نطاق جغرافي خارج مجالها أي على حساب منطقة الدول المجاورة قد يؤدي إلى نشوب حروب وفتن هم في غنى عنها و قد عان المغرب ككل من ذلك قبلا.

[5]- محمود إسماعيل ، الخوارج ، ص 281.

و يظهر أن جزيرة اليابسة[1] كانت كلها إباضية إلى القرن السادس هجري[2] .

و أيضا قرية بلفين بألمرية[3] كان أهلها على المذهب الإباضي ، و وصل التأثير إلى طريقة التدريس فذكر أن أحد المعلمين في قرطبة و اسمه جابر بن غيث اللبلي يعلم أبناء الوزير هشام بن عبد العزيز و هو كثير التشدد حتى أنه كان يقارب في صرامته الإباضية[4] و مع وجود مظاهر أخذ بها الأندلسيين يعني أن الفكر الإباضي وجد طريقه إلى هناك سواء حمله التجار أو العلماء ، و قد ذكرنا سابقا أن كبار التجار هم في الغالب علماء[5] ، تنقلوا بين تيهرت و الأندلس لأجل التجارة أو العلم ، ومن جملة التجار الذين ارتحلوا إلى الأندلس نذكر منهم أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن التاهرتي البزاز أبو الفضل ذكرناه في موضع تطرقنا لأهم المهن و الصنائع و قد اختص في صنعة البز ما يدل على ارتحاله إلى بلاد الأندلس للمتاجرة بالبز ، كما أنه كان محدثا ، من جلساء بكر بن حماد[6] ، و قد أورث ابنه علمه وقرأ بعض العلماء على ابنه في الأندلس ككتاب صريح السنة للطبري ، و كتاب فضائل الجهاد ، و إذا كان المؤرخون لم يذكروا من تلقى العلم عن والده في الأندلس ، فقد ذكروا ممن نقلوا عنه منهم موسى بن عيسى بن أبي حاج ، أحمد بن محمد بن عيسى البلوي المعروف بابن الميراثي و أبا محمد بن عبد البر[7] أيضا من العلماء التجار زكريا بن بكر ابن أحمد الغساني المعروف بابن الأشج التاهرتي دخل رفقه أبيه وأخيه الأندلس سنة 326هـ/937م ، وكان الغالب عليه التجارة ، يبدو أنه ورث ذلك عن والده الذي كان كثير التنقل بين تيهرت

---

[1]- **اليابسة** : يقال لها لمنورقة تلي جزيرة ميروقة ، جزيرة حسنة كثيرة الكروم و الأعناب ، بها عشرة مراس ، أقرب إليها من بر مدينة دانية ، بها قرى كثيرة ، و عمائر متصلة ،ينظر الحميري، المصدر السابق ، ص 198.

[2]- جودت عبد الكريم ، العلاقات الخارجية ، ص 169.

[3]- **المرية** : من أشهر مراسي الأندلس و أعمرها ، و من أجل أمصارها و أشهرها ، عليها سور حصين منيع بناه أمير المؤمنين عبد الرحمن، مرساها صيفي يركن بشرقيه و غربيه ،ينظر الحميري ، المصدر السابق ، ص 184 ، 185 .

[4]– بوباية ، المرجع السابق ، ص389.

[5]- جودت عبد الكريم ، العلاقات الخارجية ، ص 282.

[6]- هو أبو عبد الرحمن بكر بن حماد بن سمك بن اسماعيل الزناتي التاهرتي (200-296هـ / 816-909م) نشأ بتيهرت ، رحل إلى القيروان سنة 217 هـ ، أخذ بها عن الشيخ سحنون وعون بن يوسف ثم انتقل إلى المشرق ، طاف بالحواضر العملية ، تزود بعلوم الدين ،الحديث، اللغة والأدب ثم عاد للقيروان و انتصب لإملاء الحديث ، ينظر بوباية ، المرجع السابق ، ص 390.

[7]- المرجع نفسه ، ص 390.

و الأندلس ، كما أن ابن الأشج سمع بتنس من أبي الخصيب[1] ما يدل على أن والده أيضا عالم لقد ساهم هؤلاء العلماء التجار في الحركة العلمية و الثقافية في الأندلس فكان هناك تأثر و تأثير متبادل ، تم من خلاله تزاوج حضاري .

كما يذكر أن الاعتزال وجد طريقه إلى الأندلس من تيهرت على اعتبار أنها جسر يصل بين المشرق و الأندلس يضمن استمرار التدفق الحضاري من هناك[2] ، فعمل التجار على جلب كتب الواصلية[3] إلى قرطبة ، و حملوا تلك الكتب مع سلعهم[4].

و من المرجح أن هؤلاء التجار حملوا معهم إلى جانب علمهم مختلف الكتب التي قد تكون عبرت عن ميولهم و مذاهبهم ، و إن لم تكن لتلك المذاهب[5] قوة الظهور بشكل واضح نتيجة سيطرة العقيدة السنية المطلقة على الأندلسيين بما في ذلك المذهب الإباضي ، يضاف مختلف التحف و الكنوز لتزيين قصور الأندلس لاسيما الرخام ، يضاف لكل ما سبق تأثير ذهب السودان المجلوب للأندلس و منها دخل إلى أوروبا و أدى دورا حاسما في نهضتها لاحقا حيث أكدت الدراسات الحديثة هذا الدور و أقامت الدليل على تأثير ذهب السودان في السياسة النقدية لأوروبا الغربية و الجنوبية خلال أربعة قرون (2-5 هـ/8-11م)[6] ، ما يدل على أن تيهرت ساهمت في التطور الحضاري لأوروبا عن طريق علاقاتها و احتكاكها ببلاد الأندلس.

أما بالنسبة **للقيروان** فقد بقيت بها جماعات إباضية على اعتبار أنها كانت محطتهم قبل فرار الإمام عبد الرحمن بن رستم إلى المغرب الأوسط ، و مما لا شك فيه أن تبقى تلك

---

(1)- جودت عبد الكريم ، العلاقات الخارجية ، ص168 ، 172 ، 173.

(2)- بوباية ، المرجع السابق ، ص 389.

(3)- الواصلية : نسبة إلى واصل بن عطاء الغزال رأس المعتزلة وداعيهم ، كان من منتابي مجلس الحسن البصري ،ينظرعبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي ، الفرق بين الفرق ، تح محمد محي الدين عبد الحميد ،د. ط ،المطبعة العصرية، بيروت ،1995م ، ص 177 .

(4)- جودت عبد الكريم ، العلاقات الخارجية ، ص 172.

(5)- كالشافعي و الحنفي و الأوزاعي و غيرها من المذاهب الدينية التي وجدت طريقها إلى الأندلس عبر تيهرت .

(6)- من أهم الدراسات الحديثة التي أكدت أن ذهب السودان كان سببا في نهضة أوروبا الغربية و الجنوبية ، م . بلوك (M. Block) ، ف برودال (F.Braudel) ر. لوبار (R.Lopze) ينظر الطرابلسي ، المرجع السابق ، ص 06، 20 ، لومباز ، المرجع السابق ، ص 170.

الجماعات بإفريقية[1] على اتصال بالدولة الرستمية قاعدة المذهب الإباضي بالمغرب فمثلت حلقة وصل بين إفريقية و تيهرت ، اللتان مثلتا أنداك عاصمتين بصفة عالمية ، و لم تعرف حدودا و فواصل واضحة ، فكانت عوامل التقارب أقوى من عوامل العزلة ، رغم وجود خلافات سياسية و مذهبية ، فتواصل التبادل و قويت الصلات التجارية المدعمة للروابط الاجتماعية و النهضة الثقافية في اطار تمازج حضاري ، و لعبت القوافل دورا أساسيا في ذلك حاملة معها طلاب العلم من تيهرت إلى القيروان مصطحبين معهم علمهم و عاداتهم فبالإضافة للدافع التجاري كان الدافع الديني و العلمي[2].

و لقد حققت كل من تيهرت و القيروان تكاملا اقتصاديا بينهما ساعد على التطور الداخلي خاصة أن الرستميين وفروا عدة سلع و بضائع كان من شأنها النهوض بصنائع الأغالبة و بالتالي أدت إلى ازدهار حضاري ، و في مقدمة تلك السلع الذهب و العبيد الذين شكلوا فئة هامة شاركت في تكوين جيوش الأغالبة[3] ، و لما توفر الأمن و الاستقرار وجد الأغالبة جوا ملائما لمواصلة الفتح الإسلامي في صقلية في ظل اطمئنانهم على حدودهم الغربية[4] و قد حرص الرستميون على ذاك الأمن و الاستقرار لاستمرار الحركة التجارية .

و لعل تلك الصلات التجارية التي حملت معها كل ما هو ثقافي و حضاري كانت أقوى في عهد التفرق السياسي ، مع بقاء وحدة الدين التي هيأت و ربطت بحملة البضائع و زعماء الصنائع فاحتفظوا بالصلة ، و هذا ما يفسر عدم تأثر التواصل الفكري بالنزاع السياسي بين الأغالبة و الرستميين[5].

كثر شد الرحال **لفاس** عاصمة الأدارسة و دخلها التجار الذين لم يكونوا في منأى عن

---

[1]- وجدت جماعات قرويين سكنوا المدن الرستمية لاسيما تيهرت و عليه التواصل بين القيروان و تيهرت كان حتميا.

[2]- جودت عبد الكريم ، العلاقات الخارجية ، ص 123.

[3]- يذكر الثعالبي:" ومن جملة الإصلاحات التي أجريت إيجاد جيش كثيف من الزنج بلغت عدته ثمانين ألف"، ينظرالثعالبي،المرجع السابق،ص 210

[4]- جودت عبد الكريم ، العلاقات الخارجية ، ص 122.

[5]- مطهري ، المرجع السابق ، ص 04 .

المشاركة في التأثير الثقافي و العلمي و منهم التجار الرستميون و الذين مروا بها ، شأنها شأن القيروان ، ما دل على ذاك التأثير تشابه البنية الاجتماعية بين تيهرت و فاس ، بمعنى كلتا العاصمتين ميزها مزيج الثقافة البربرية و المشرقية الإسلامية[1].

يبدوا أن الحركة العلمية في تيهرت كانت أوسع منها في فاس لأنها معبر المرتحلين إلى الأندلس و فاس و سجلماسة و لقربها من القيروان و اعتمادها على مبدأ الحرية ، و من المحتمل أن علماء فاس تأثروا بتيهرت أكثر مما أثروا فيها.

مهما كان الأمر فإن علاقة ثقافية[2] متينة ربطت فاس بتيهرت بغض النظر عن المذهب السائد ، و ما كان ذلك لولا احترام كل منهما مبدأ السلم و حسن الجوار فتنوعت العلاقات التي ربطتهما[3] .

كما ساهم الكثير من التجار العلماء في ذاك التزاوج الثقافي بين تيهرت و سجلماسة وذكر لنا الدرجيني أحدهم يدعى ابن جمعي أقبل من بلاد المشرق تاجرا و استقر بتيهرت وكان كثير الترحال بين تيهرت و سجلماسة ، و ابن جمعي هذا أحد التجار العلماء الذين ربطوا العاصمتين برباط ثقافي و يرافقه في ذلك أبو الربيع سليمان بن زرقون ، و يذكر أن بعد وفاة ابن جمعي بسجلماسة أخذ أبو الربيع كتبه[4] .

و قد اشتهر التاجر العالم أبو يحي حماد بن يحي السجلماسي الذي سمع منه جماعة بالقيروان فحملوا منه و كان مالكيا و اشتغاله بالتجارة جعله دائم المرور بتيهرت وصولا للقيروان[5]، فتأثر بما وجده في تيهرت من تنوع ثقافي. وعليه قام هؤلاء التجار بدور الوسيط الثقافي بين العواصم المغربية.

---

[1]- جودت عبد الكريم ، العلاقات الاقتصادية ، ص 203.

[2]- تمخض عنها تنافس أدى إلى إحداث ثورة فكرية في بلاد المغرب بين جميع المذاهب السائدة كما ساعدعلى ازدهارو تنوع الإنتاج الفكري.

[3]- محمود إسماعيل ، الخوارج ، ص 294.

[4]- الدرجيني ، المصدر السابق ، ج1 ، ص 33.

[5]- جودت عبد الكريم ، الأوضاع الاقتصادية ، ص 224.

نقلت التجارة إلى جانب السلع و البضائع زخما حضاريا كان له أثره على الدولة الرستمية و عمل على ازدهارها و جعلها عراق المغرب ، كما نقلت التجارة الرستمية فيضا حضاريا هائلا للمناطق التي احتكت بها ، خاصة بلاد السودان الغربي التي عرفت الحضارة العربية الإسلامية بفضل التجار الرستميون أو المارون على تلك المدن الرستمية.

كما عملت التجارة الرستمية على كسر الحواجز السياسية و المذهبية ومزجت مختلف الثقافات ، في ظل التمزق الحاصل أنداك بين دول المغرب الإسلامي فكانت الرابط الذي ربط بينها.

خـــــاتمة

خاتمة:

لقد حاولنا التعرف على دولة إسلامية قامت على أسس و مبادئ دينية في ظل ظروف سياسية صعبة ،حيث ساد التفرق والتمزق المذهبي و السياسي في المغرب الإسلامي ودراستنا للنشاط التجاري على عهد الدولة الرستمية و تأثيره على مختلف المجالات حاولنا من خلالها أن نتعرف على نموذج حي و واقعي لدولة و حضارة للأسف لم تعمر طويلا،وبالرغم من كل ما قيل عن هذه الدولة إلا أنها على الأقل ، تمكنت من نشر البذور الأولى للإسلام في بلاد السودان الغربي التي لم تعرفه من قبل فهذا يكون في النهاية محسوبا لها .

وعليه يمكن استخلاص جملة من الاستنتاجات المستنبطة من هذه الدراسة أهمها:

- هناك جملة من العوامل الطبيعية و السياسية تحكمت في النشاط التجاري و كانت هذه العوامل سببا في ازدهاره، فالدولة الرستمية عملت على الانتفاع والاستفادة منها للنهوض بالتجارة ، مما أدى إلى توسيع الإنتاج الزراعي والحيواني ،و قيام صناعات متنوعة دخلت ضمن عملية التبادل التجاري الداخلي و الخارجي فأنعشته.

- يبدو أن الرستميين تمكنوا من اثبات مبدأ وهو أن الاختلاف المذهبي و السياسي لا يمكنه إعاقة التواصل التجاري ،و الحضاري بين الدول والمجتمعات ، حيث سلكوا سياسة التعايش السلمي مع جيرانهم المخالفين لهم في المذهب و حتى السياسة فحافظوا على استقلال البلاد كما احترموا مبدأ الحرية ،و العدل و المساواة وغيرها وهي قواعد لتحقيق الأمن والاستقرار الاجتماعي ، وبذلك تطورت تيهرت في ظل هذه المبادئ من مدينة صغيرة إلى مدينة عامرة ،فأصبحت وجهة للعديد من الناس سواء بغرض التجارة أو لتحقيق أغراض أخرى .

- لم يكن بوسع هذه المدينة أن تتقوقع على نفسها فأقامت علاقات مختلفة شملت بلاد العالم الإسلامي تقريبا مشرقه ومغربه ، فضلا عن السودان الغربي لتنعكس هذه السياسة على الوضع الاجتماعي و الاقتصادي و أثرت كثيرا في التجارة فازدهرت و سرعان ما نالت شهرة تجارية عالمية فاقت سواها من عواصم المغرب و قد ساعدها موقعها على اكتساب هذه الشهرة .

- اجتهد الحكام الرستميون في توفير و تأمين المرافق التجارية منها الأسواق التي أدت مهمة اقتصادية و اجتماعية حيث كانت عالما ملائما للتلاقي التجاري والثقافي بين نسيج المجتمع الرستمي من حضر وبدو فسطرت لها تنظيمات، منها خطة الحسبة التي مثلت عمود الأسواق على أنواعها وتخصصاتها،بذلك مارس التجار أنشطتهم بشكل أوسع

و تعاملوا بوسائل متعددة ، وإن لم يتفق المؤرخون و الباحثون على وجود عملة رستمية إلا أننا نقلنا إشارات توضح أنهم سكوا عملة و تعاملوا بها .

وكان للسياسة الضريبية وقعها على الجانب التجاري حيث أقر الرستميون ما شرع الله فلم يثقلوا كاهل التجار بها من جهة ،وضمنوا تحصيلها من جهة أخرى.

ـ أما عن قائمة السلع و البضائع الصادرة و الواردة نقول أن هناك توازنا في عملية الصادرات و الواردات ، فالفائض عن الحاجة كان يصدر و ما ينقص كان يستورد و لما عرف الرستميون حياة الدعة و البذخ راحوا يستوردون سلعا كمالية للتميز،وكان من الطبيعي أن يمتلكوا شبكة هائلة من الطرقات و المسالك البرية و البحرية التي كونت البنية الأساسية للحركة التجارية لأنها ضمنت الاتصال بين عدة أقاليم ، وبالتالي ربط علاقات تجارية وثيقة كانت تيهرت تمثل دور الوسيط فيها،فسار التجار بقوافلهم إلى الشرق الإسلامي مرورا بالقيروان وشمالا إلى قرطبة مرورا بفاس في نفس الوقت اتجهت جنوبا إلى السودان الغربي مرورا بسجلماسة أو ورجلان، ولا شك أنّ هذا الاتساع يعكس ذاك الازدهار و الرخاء الذي عرفته الدولة الرستمية.

ـ ارتبط النشاط التجاري الحيوي بالفعل الحضاري ، لأنّ التجارة الرستمية سمحت من جهة بالانفتاح على المؤثرات الثقافية الخارجية مشرقية وأندلسية ومن جهة أخرى تمكن التجار الرستميون من نشر الاسلام وحتى الذهب الاباضي في المناطق التي حلوا بها في السودان الغربي ، ويظهر ذلك في أن تيهرت كانت محطة للقوافل التجارية ، فكان التجار يقيمون فيها أو يرحلون عنها ، دون اعتبار لمذهبهم أو لدينهم ، فمنهم الإباضي ومنهم السني ، ومنهم المعتزلي ، ومنهم الذمي ، المهم في الأمر هو ما تدره التجارة من أرباح . ويظهر هذا الأثر في التوسع العمراني لمدينة تاهرت والمدن الأخرى وهذا عكس زيادة النسيج الاجتماعي بما كان من طبقات حرفية استفادت من التجارة ، والجدير بالذكر ان التاجر الرستمي لم يكن فقط ناقلا للبضائع وانما كان ينقل الفكر والثقافة وهذا هو الدور الحضاري الذي لعبته التجارة الرستمية لأن العلماء هم أيضا كانوا تجارا أو كانوا مرافقين للتجار في قوافلهم .

ـ إنّ ما توصلنا إليه من نتائج لا يعني أننا استوفينا كل جوانب الموضوع إنما اتيحت لنا الفرصة مما حصلنا عليه من مصادر ومراجع للتعرف على جانب مهم في الدراسات التاريخية وهو التاريخ الاقتصادي للدولة الرستمية ، لأنّ تاريخ هذه الدولة ظل مقتصرا على ما تجود به الكتابات التاريخية من مواضيع سياسية عامة لا تكاد تشفي غليل الباحث المتخصص في هذا الشأن، على أن هذا لا يسد الباب أمام دراسات مستقبلية متخصصة في المواضيع الاقتصادية والاجتماعية للدولة الرستمية أو لغيرها من الدول التي قامت في المغرب الإسلامي .

الملاحق

ملحق رقم 01 :

الإمام	إمامته
عبد الرحمن بن رستم بن بهرام بن سابور بني بابك بن سابور ذي الأكتاف الملك الفارسي ولد في العراق أواخر القرن 1هـ/7م وفاه أجله في 168هـ/784م .	(160 - 171هـ/ 777-787م) هو الإمام المؤسس الدولة الرستمية ، لم تعترضه مشاكل فترة حكمه ، تمتع بشخصية دينية و حربية وعلمية .
عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم توفي 208هـ/823م .	(171 - 208 هـ / 787 - 823م) بويع بعد وفاة أبيه ، وقعت فتن في عهده حيث تمكن من إخمادها بدهائه و سياسته ، حيث اكتسب الخبرة السياسية و العسكرية و هو إلى جانب والده .
أفلح بن عبد الوهاب.	(208 - 258هـ/823- 873م) بويع بالإمامة وكان صاحب نفوذ قوي كانت تيهرت في أيامه هادئة ازدهرت بتجارتها .
أبو بكر بن أفلح	(258- 261هـ/873- 876م) بويع بالإمامة من قبل قبيلة نفوسة إحدى قبائل تيهرت ذات نفوذ سياسي و لم يبايعه غيرها ، كان أديبا فقهيا غير مهتم بالناحية السياسية بل ترك أمرها لأخيه أبي اليقظان و صهره محمد بن عرفة كما انتشرت على عهده الفتن و الحروب .
أبو اليقظان محمد بن أفلح	(261-271 هـ /876-894م) كان قبل توليه الإمامة قد ذهب إلى الحج في أيام والده فسجنه الواثق الخليفة العباسي مع أخيه المتوكل و لما آل أمر الخلافة لهذا الأخير أطلق سراحه . سمح له بتوليه الإمامة و بقي سنة بعدها و توفي

	في 281هـ عرفت البلاد على عهده فترة من الهدوء و الاستقرار و عم الرخاء و تحسنت الأحوال.
أبو حاتم يوسف	(281 - 293 هـ / 894 - 907م) كان كثير المروءة واسع الإحسان محبوبا لدى العامة و بعد مبايعته اضطربت الأمور و قتل في 249 هـ بعد أن دارت حرب بينه و بين عمه يعقوب ، كانت حينها انتصارات أبو عبد الله الشيعي قد وصلت مسامع الرستميين إلا أنهم بدل توحيد الصفوف تشتتوا.
اليقظان بن أبي اليقظان	(294 - 296 هـ/907 -909م) بويع بعد مقتل أخيه أبي حاتم و لم يتمتع بالملك طويلا و اعتبرت إمامته بداية نهاية الدولة الرستمية فسقطت هذه الأخيرة في يد الشيعة سنة 296هـ .

- الأئمة الرستميون على الترتيب منذ قيام الدولة إلى سقوطها.

ينظر الزركلي ،الأعلام ،ج2،ج3،ج4،ج5،ج8 .

ملحق رقم : 02

- **عملــة الرستميين**

X

أ

ب

الوجه أ : ضرب هذا الفلس بافريقية

الوجه ب : سنة ثنين وأربعين ومائة

العملة من النحاس قطرها : 21 ملم

إبراهيم بحاز بكير ، الدولة الرستمية ، ص 183 .

- ملحق رقم: 03

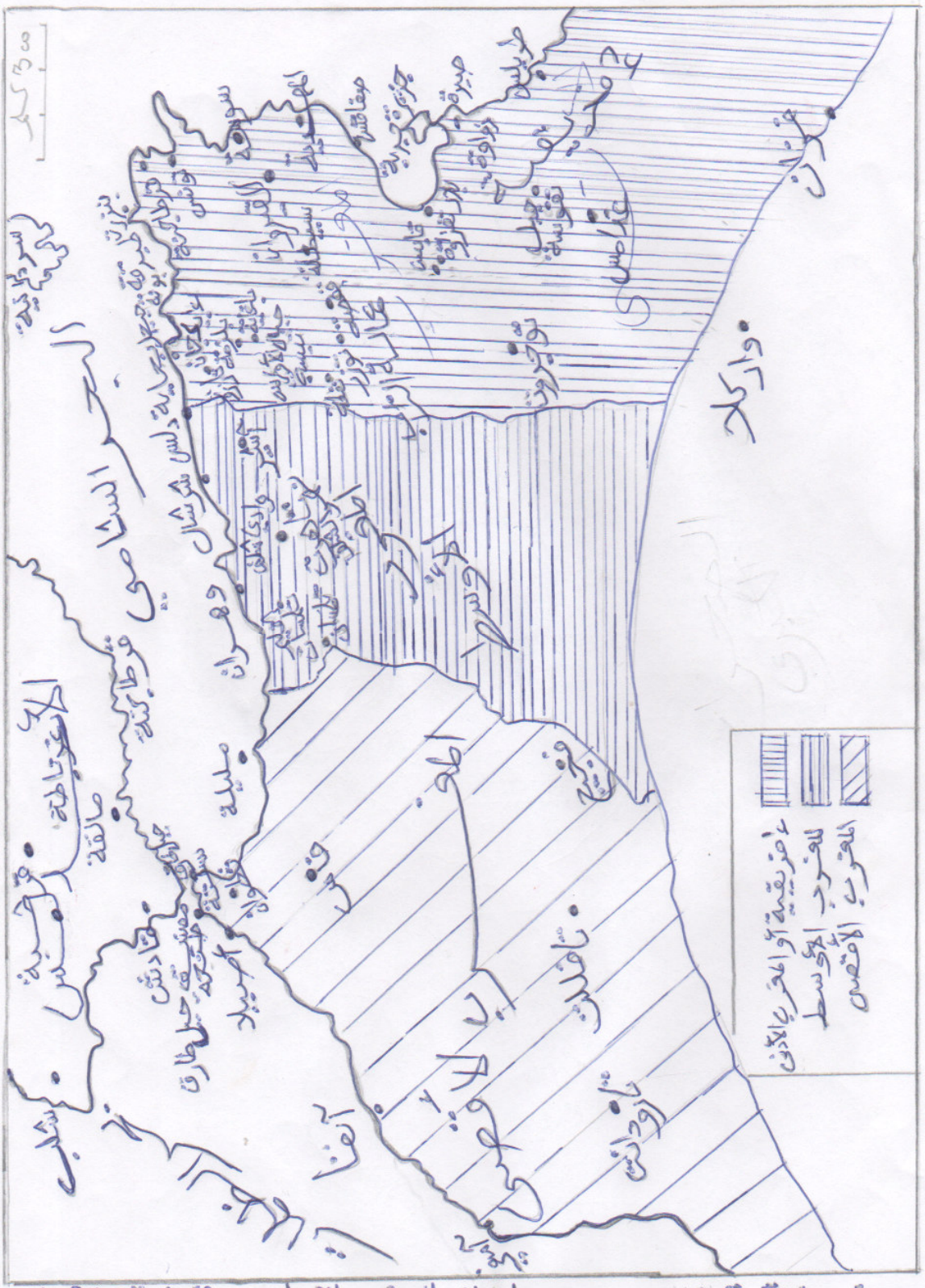

- خريطة تبين حدود بلدان المغرب الإسلامي في القرن 7هـ/13م

- إنجاز الطالبة

- ملحق رقم: 04

- خريطة تبين حدود الدولة الرستمية (من النصف الثاني القرن الهجري الثاني/ الثامن من الميلادي حتى سنة 296هـ/909م).

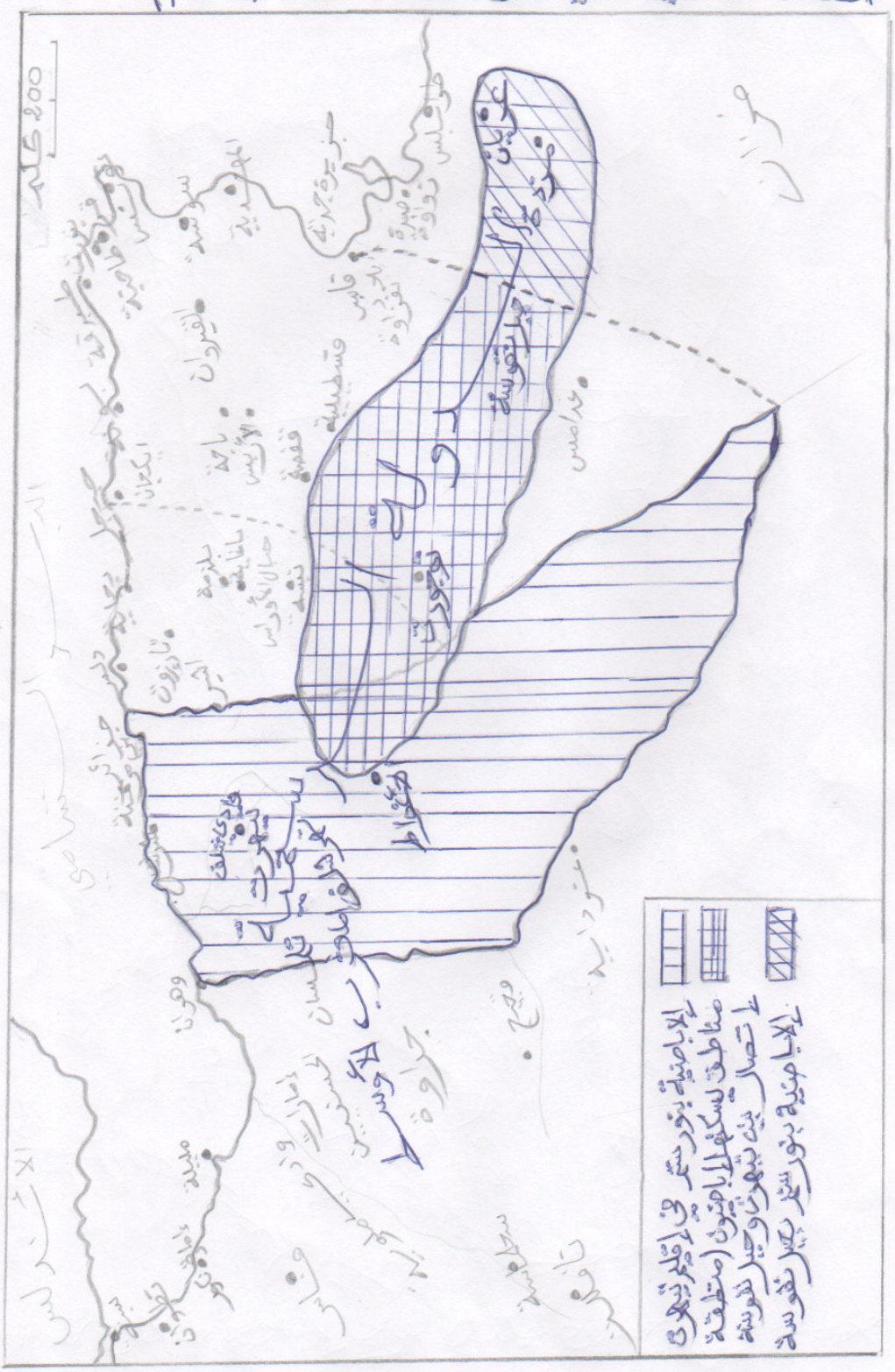

- حسين مؤنس، أطلس الإسلام، ص 160.

- ملحق رقم: 05

- أهم الطرق التجارية.

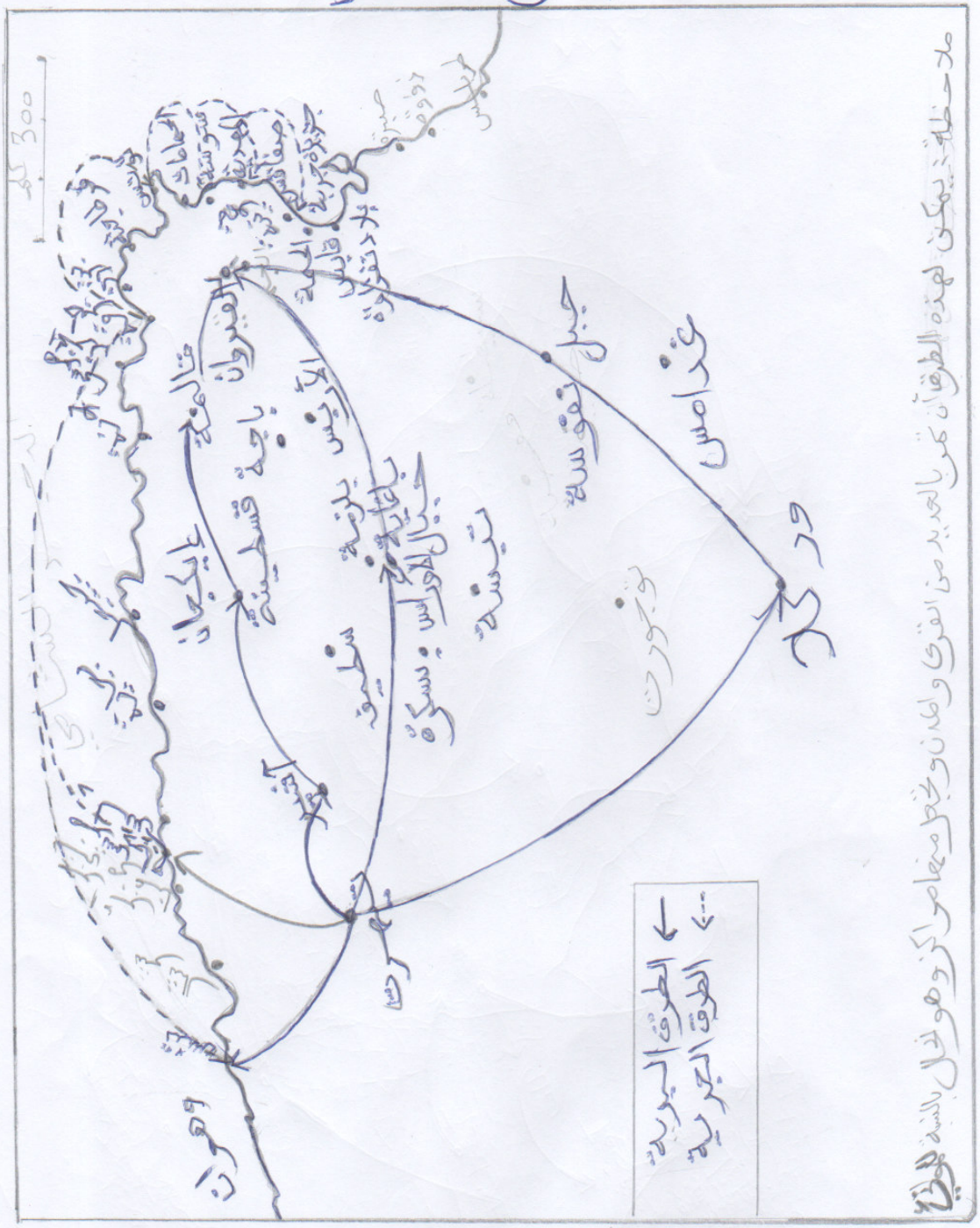

أ- خريطة تبين أهم الطرق البرية والبحرية التجارية الرابطة بين تيهرت وإفريقية

- من: بحار الطالبة.

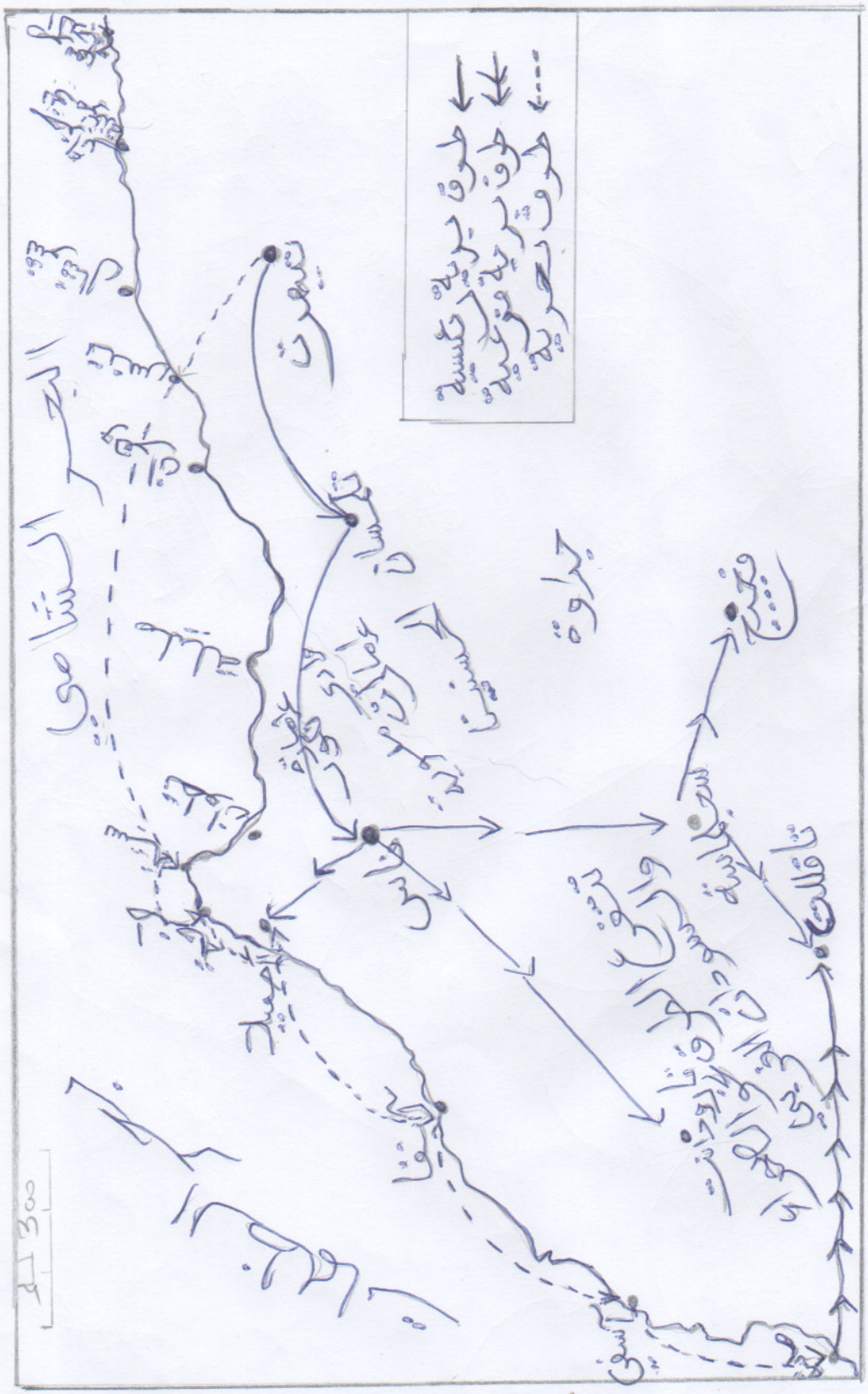

ب - خريطة تبين أهم الطرق البرية والبحرية التجارية الرابطة بين بنزرت والقرن الأقصى

من إنجاز الطالبة

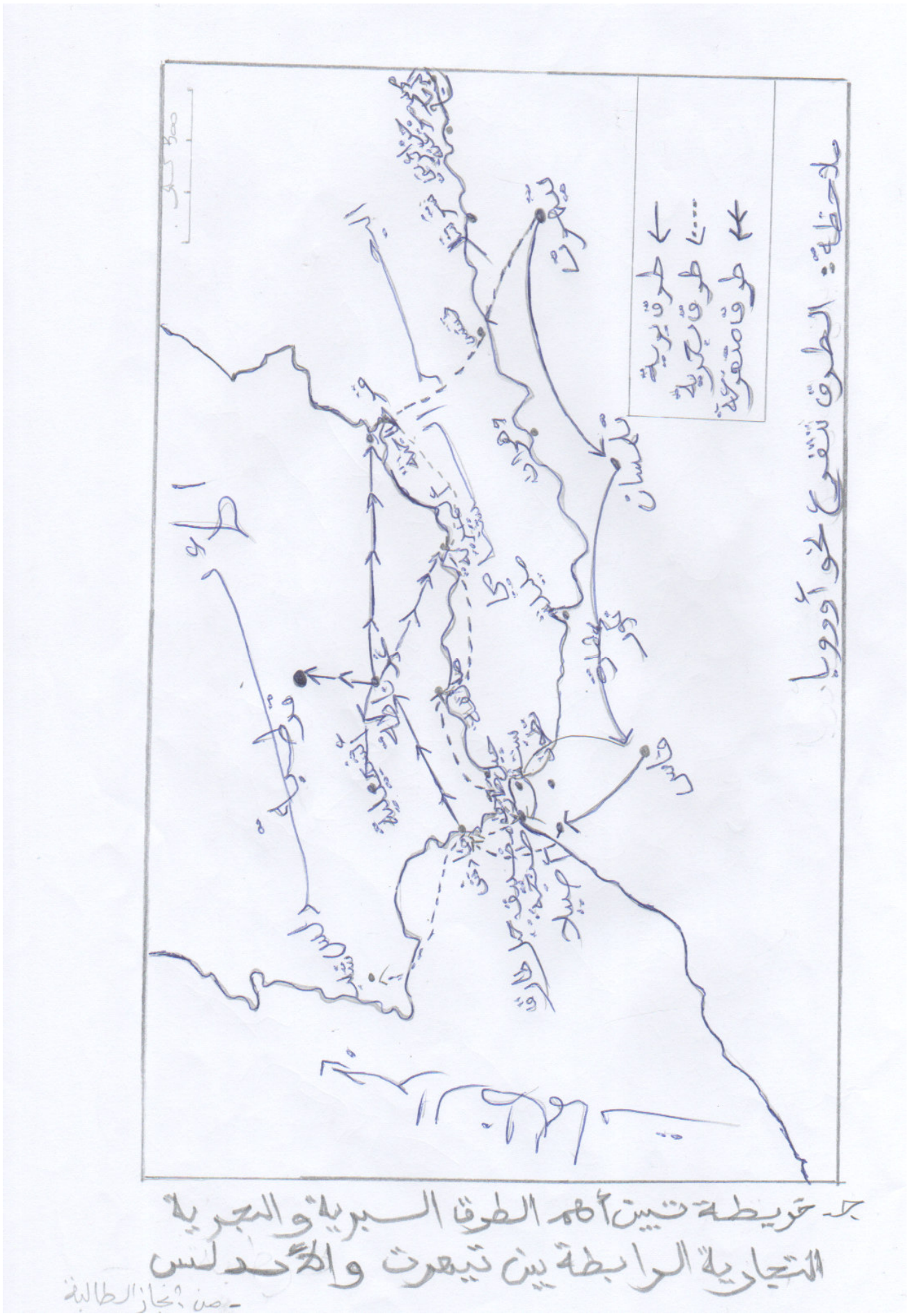

خريطة تبين أهم الطرق البرية والبحرية التجارية الرابطة بين تيهرت والأندلس

- ص: انجاز الطالبة

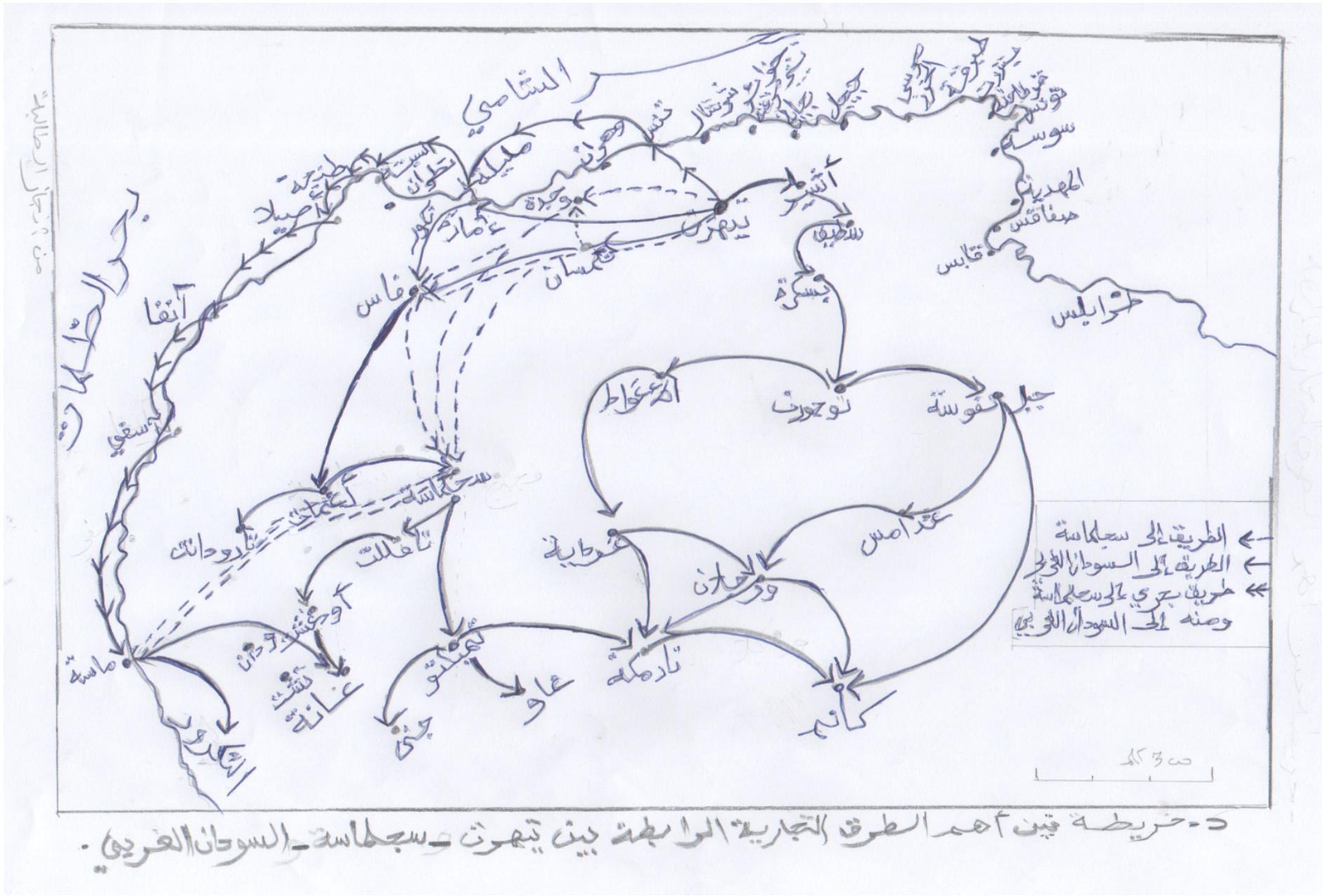

د- خريطة تبين أهم الطرق التجارية الرابطة بين تيهرت - سجلماسة - السودان الغربي.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم

أ)- المصادر:

١- **أبو زكريا**،يحيى بن أبي بكر الورجلاني ،سير الأئمة و أخبارهم، تح إسماعيل العربي ، د. ط ،المكتبة الوطنية ، الجزائر ،١٩٧٩م .

٢ - **ابن الأثير**، أبو الحسن عز الدين علي ، الكامل في التاريخ ، تح الدقاق محمد يوسف ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٨٧ م ، ج ٥.

3- ابن بشكوال ، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود القرطبي ، الصلة ،تح إبراهيم الأبياري ، ط1 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1989 م ، ج1.

4- ابن بطوطة،أبو عبد الله محمد بن عبد الله إبراهيم اللواتي ،رحلة ابن بطوطة ، ط 2، دار النفائس ، بيروت ، 2004 م .

5- ابن حوقل، أبو القاسم ،المسالك و الممالك، د. ط ، مطبعة بريل ، بيروت ، 1873 م.

6-ـــــــــــــــــ ، صورة الأرض ،د.ط ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1992 م .

7- ابن سعيد ،أبو الحسن على بن يوسف ، المُغرب في حلى المَغرب ، تح خليل منصور، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1997 م ، ج1.

8- ابن عذاري، أبي عبيده الله محمد ، البيان المُغرب فيذكر أخبار الأندلس و المَغرب، تح و مرا ج.س كولان و إ.ليفي بروفنسال،ط3، دار الثقافة ، بيروت ، 1983 م ، ج 1.

9- ابن صغير، المالكي ، أخبار الأئمة الرستميين ، تح و تع محمد ناصر و إبراهيم بحاز كبير ، د.ط ، دار المغرب الإسلامي ، بيروت ، 1976 م.

10- ابن خلدون ، أبو زيد عبد الرحمن ، العبر و ديوان المبتدأوالخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، مراسهيل زكار، ضبط و وضع الحواشي خليل شحاذة ،د.ط ،دار الفكر ،بيروت ،2001 م ، ج6.

11-ـــــــــــــــــــــــــــ ، المقدمة ، شرح و تق محمد إسكندراني ، د.ط ، الكتاب العربي، بيروت ، 2006م.

12-الإدريسي ،أبو عبيد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الشريف ، المغرب و أرض السودان و مصر و الأندلس مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، د.ط ، طبعة بريل ، ليدن ، 1866م.

13-الإصطخري ،أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي ، المسالك و الممالك ، د.ط ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1927م.

14- البكري ، أبوعبيد الله بن عبد العزيز ، المُغرب في ذكر بلاد إفريقية والَمَغرب جزء من كتاب المسالك و الممالك ، د. ط ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، د.ت.

15- البغدادي ، عبد القهار بن طاهر بن محمد التميمي ، الفَرق بين الفِرق ، تح محمد يحي الدين عبد الحميد ، د.ط ، المطبعة العصرية ، بيروت ، 1995م.

16-البغطوري ، مقرين بن محمد ، سيرة مشايخ نفوسة، تح توفيق عياد الشقروني، د.ط ، مؤسسة تاوالت الثقافية ، د.ب ، 2009م،ج1 .

17- الدمشقي ، أبو الفضل جعفر بن علي ، الإشارة في محاسن التجارةوغشوش المدلسين فيها ، تق محمود عبد القادر الأرناؤوط ، ط1 ، دار صادر، بيروت ، 2009م.

18- الدرجيني ، أبو العباس أحمد بن سعيد ، طبقات المشايخ بالمغرب، تح إبراهيم طلاي، ط1 ، مطبعة البعث ، قسنطينة ،1974م، ج1، ج2.

19- الحموي،أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت ، معجم البلدان ،د.ط ، دار صادر، بيروت ، 1977م ،م1 ،م3، م 4، م 5.

20- الحميري ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله ، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار ، تص و تطبيق الحواشي لافي بروفنصال ، ط2 ، دار الجيل ، لبنان ، 1988م.

21- الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد حبيب البصري ، الأحكام السلطانية و الولايات الدينية ، تح أحمد مبارك البغدادي ، ط1 ، مكتبة دار أبي قتيبة ، الكويت ، 1989م.

22- المجيلدي ، أحمد سعيد ،التسيير في أحكام التسعير ، تق و تح موسى لقبال ، ط2 ، الشركة الوطنية ، الجزائر، 1981م.

23- المقدسي ، أبو عبد الله شمس الدين محمد ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، د.ط ، مطبعة بريل ، ليدن ، 1877 م.

24- اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر، البلدان ، وضع حواشيه محمد أمين الصناوي ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2002م.

25- القزويني، زكريا بن محمد محمود ، آثار البلاد و أخبار العباد ، د.ط ، دار صادر ، بيروت ، د.ت.

26- القيرواني ، الرقيق ، تاريخ إفريقية والمغرب ، تق وتح محمد زينهم حمد عزب،ط1، دار الفرجاني للنشر و التوزيع ، تونس ، 1994م.

27- الشهر ستاني ، أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد ، الملل و النحل ، تح أمير علي مهنا و علي حسن فاعود ، ط3 ، دار المعارف ، بيروت ، 1993 م ، ج1.

28- الشيرازي ، عبد الرحمن ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، تح السيد الباز العريني ، ط2، دار الثقافة ، بيروت ، 1981 م.

29- مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تح م . ألفراد ، د.ط ، المطبعة الإمبريالية الملكية ، فيينا ، 1852م.

ب)- المراجع باللغة العربية:

30-ابن قربة ،صالح ،المسكوكات المغربية ، د.ط ، المؤسسة الوطنية ، بيروت ،1996م.

31-الباروني ،أبو الربيع سليمان ،الأزهار الرياضية في أئمة و ملوك الإباضية ، د.ط ، مطبعة الأزهار الرياضية ، مصر ،د.ت ،ج1 ،ج2.

32-الجنحاني، الحبيب ،دراسات في التاريخ الاقتصادي و الاجتماعي للمغرب الإسلامي، ط2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،1990م.

33-الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ،ط 15 ، دار العلم للملايين، بيروت ،2002م، ج2،ج3،ج4،ج5،ج8.

34-الحريري ،محمد عيسى ،الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها و علاقتها الخارجية بالمغرب و الأندلس،ط 3، دار القلم ، بيروت ،1986م.

35-الكعاك ،عثمان ،موجز التاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي ، تق أبو القاسم سعد الله و آخرون، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت،2001م.

36-الشرباصي ،أحمد ،المعجم الاقتصادي الإسلامي، د.ط ، دار الجيل ، القاهرة ، 1981م.

37-الريس ، محمد ضياء الدين ،الخراج و النظم المالية الإسلامية ،ط4، القاهرة،1977م.

38- الثعالبي ،عبد العزيز ، تاريخ شمال إفريقية من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولةالأغلبية ، جمع و تح أحمد بن ميلاد و محمد إدريس، تق و مرا حمادي الساحلي ، ط2،دار الغرب الإسلامي ، لبنان ، 1990م.

39-بوزيان ،أحمد ،تيهرت عاصمة الدولة في عهد الرستميين، د.ط ، دار الهدى للطباعة و النشر ، الجزائر ،د.ت .

40-بونار،رابح ،المغرب العربي تاريخه و ثقافته ، ط3 ،دار الهدى، الجزائر ، د.ت .

41 - بحاز،إبراهيم بكير ، الدولة الرستمية (160-296هـ/777-909م)دراسة في الأوضاعالاقتصادية و الحياة الفكرية ، ط1 ، جمعية التراث الجزائر ،1995م.

42-بشير ،عبد الرحمن ،اليهود في المغرب العربي (22-462هـ/642-1070م) ،ط1، عين الدراسات ، مصر ،2001م.

43-جهلان ،عدون ،الفكر السياسي عند الاباضية من خلال آراء الشيخ محمد بن يوسف أطفيش ، د.ط ، مكتبة الضامري، عمان ، د.ت .

44-جودت ، عبد الكريم يوسف ،العلاقات الخارجية الدولة الرستمية ، د.ط ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،1984م.

45-ـــــــــــــــــــــ ،الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع هجريين (9-10م)، د.ط ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، د.ت.

46-جمعة،علي محمد ،المكاييل و الموازين ،ط2 ، القدس للإعلان ، القاهرة ،2001 م.

47-جرجي ، زيدان ، تاريخ التمدن الإسلامي ،د. ط ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د.ت ، ج1.

48-دبوز، محمد علي ،تاريخ المغرب الكبير ،ط1 ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة، 1963م ،ج3.

49-لقبال ، موسى ، المغرب الإسلامي منذ بدأمعسكر القرن إلى انتهاء ثورات الخوارج سياسة و نظم، ط1 ، مطبعة البعث، الجزائر ، 1969م.

50-ـــــــــــــ ،الحياة اليومية لمجتمع المدينة الإسلامية من خلال نشأة و تطور نظام الحسبة المذهبية في المغرب الإسلامي ،د.ط ، دار هومه، الجزائر ،2002م.

51-مؤنس ، حسين ،أطلس تاريخ الإسلام ،ط1، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، 1987م.

52- ـــــــــــــ ،تاريخ المغرب و حضارته من قبيل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي ،ط1 ، دار الحديث للنشر و التوزيع ،بيروت ، 1996م ،ج1.

53-ـــــــــــــ ،معالم تاريخ المغرب و الأندلس ، د.ط ، دار رشد ، مصر ، 2004م.

54-إسماعيل ، محمود عبد الرزاق ، الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع هجري ، ط2 ، دار الثقافة ، المغرب ، 1985م .

55 **-** ـــــــــــــــــــــــــــ ، الأدارسة 172- 375هـ ،حقائق جديدة، ط1 ،

مكتبة مديوني ،مصر ، 1991م .

56- محمود ،أحمد حسن و منى أحمد حسن ،تاريخ المغرب و الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة ، ط1 ،دار الفكر العربي ،القاهرة ،1999م.

57- معيوف ،صالح مفتاح ، جبل نفوسة و علاقته بالدولة الرستمية (من منتصف القرن الثاني الهجري إلى أواخر القرن الثالث هجري)، د.ط ،مؤسسة تاوالت الثقافية ، د.ب، 2006م.

58-سالم، السيد عبد العزيز ،المغرب الكبير ،العصر الإسلامي دراسة تاريخيةوعمرانية و أثرية ،د.ط ،دار النهضة العربية ، بيروت ، 1981 م.

59- سامعي ،إسماعيل ،معالم الحضارة العربية الإسلامية ،د.ط ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،2007م .

60-زغلول ، سعد عبد الحميد ،تاريخ المغرب العربي ، د.ط ، دار المعارف ،لبنان ، 1965م.

جـ)- المراجع المترجمة :

61-بروكلمان ،شارل ، تاريخ الشعوب الإسلامية ،تر نبيه أمين فارس و منير البعلبكي ، ط5 ، دار العلم للملايين ، بيروت ،1968م.

62-جوليان ، شارل أندري ، تاريخ إفريقية الشمالية ،تح محمد ميزالي والبشير بن سلامة، ط2 ،الدار التونسية للنشر ، تونس ،1983م.

63-لومباز، موريس ،الإسلام في مجده الأول (2-5هـ) ،تح إسماعيل العربي ، د.ط ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1979م.

64-مارسيه ، جورج ، بلاد المغرب و علاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، تر محمود عبد الصمد الهيكل ،مرا مصطفى أبو ضيف أحمد ،د.ط ، منشأة المعارف الإسكندرية ،مصر ،1991م.

د)- المراجع الأجنبية:

65-Marsais,George,la berberie musulmane l'orient au moyen-âge, paris ,1946.

هـ)- الرسائل الجامعية :

66-بوراس، رفيق ، الأوضاع الاجتماعية في عهد الخلافة الفاطمية (296-362هـ/968-972م) (رسالة ماجستير)، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2008م ، ص58 ، 59 .

و)- المقالات :

67-أوكيل، مصطفى باديس ، "أثر الرستمية في ازدهار الحضارة "، المجلة الخلدونية ، ع.د أكتوبر 2009م ، ص15-16.

68-الطرابلسي ،محمد ، "تطور المدن في المغرب الإسلامي و علاقاتها - العلاقات التجارية ببلاد السودان الغربي خلال القرنيين (3-4 هـ/ 9-10م)| ،[موسوعة دهشة] ، 2013/12/02م ، ص- ص،06 -17.

69-السعدي ، مهنا بن راشد محمد ،"الدولة الرستمية دولة إسلامية ظلمها التاريخ "، [abujaifar@hotmail.com] ،2013/10/20م ،ص- ص،01-12.

70-الفيتوري ،أحمد " الجاليات العربية في بلاد السودان " ، مجلة البحوث التاريخية ، ع.د 2 ، السنة الثالثة ، 1981م [www.alu.kah-net/culture]،2014/02/13م، ص 246.

71-العيد ، سليمان بن قاسم بن محمد ،" النشاط الاقتصادي للمعتزلة في بلاد المغرب "، [www.alu.kah-net/culture] ، 2014/12/02م، ص- ص،05-14.

72-الرباصي ، مفتاح يونس ، "ازدهارتجارة القوافل بين الدولة الحفصية و دولة الكانمو البرنو في العصور الوسطى "، مجلة ساتل،[موسوعة دهشة] ،2013/12/30م،ص91.

73-بوباية ، عبد القادر ،"علاقة الرستميين بالإمارة الأموية في الأندلس "،مجلة التراثالعربي ، 01 يناير 1970م،[موسوعة دهشة] ،2013/12/06م،ص-ص،381-392.

74-بلولة ، إبراهيم محمد أحمد ، "الهجرات و القوافل التجارية عبر الصحراء و أثرها فينشر الإسلام و الحضارة الإسلامية" ،[www.djelfa.info]، 2013/01/29م،ص-ص،01-14.

75-وهراني ، قدور ،" تطور نظام الشرطة في العهد الرستمي (160- 296هـ/776-908م)"،المجلة الخلدونية ، ع.د أكتوبر 2009م ،[historre-maghreb@yahoo.fr]، 2014/01/16م،ص- ص،10 -118.

76- ـــــــــــــ،"جوانب من التاريخ الاجتماعي و الاقتصادي لمدينة تيهرت " ، مجلة التراث العربي،[موسوعة دهشة] ،2014/02/24م،ص- ص ،127- 139 .

77-حيمي ، عبد الحفيظ ، "تاقدمت تاريخ و معالم "المجلة الخلدونية ،ع.د أكتوبر 2009م، ص 231.

الفهـــــرسة

فهرس الأعلام

(أ)

أبو اليقظان - إباضي معاصر- ،ص35.

أبو العيش , ص26.

أبو الفضل أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله التميمي البزاز التيهرتي ،ص68،25.

أبو الربيع سليمان بن زقون ،ص 71.

أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري ، ص 8 ،9 .

أبو الخصيب ، ص 69.

أبو جعفر المنصور , ص 9.

أبو زكريا ،ص 60.

أبو حاتم يعقوب بن حبيب الملزوزي ,ص 37،24،21،10،9.

أبو يحيى النفوسي ،ص 66،65.

أبو يحيى حماد بن يحيى السجلماسي ،71.

أبو محمد عبد البر،ص 68.

أبو منصور،ص 21.

أبوعبيدة ،ص 66.

ابن الصغير،ص 57،55،34،33،28،25،24،21،19،18،17،11،10.

ابن بطوطة ، ص 66 .

ابن جرني ،ص 58.

ابن جمعي ،ص 71.

ابن زلغين ،ص 58.

ابن حوقل ، ص 48،5،43،40،21،20.

ابن سعيد ، ص 49.

ابن عذاري , ص 18،11.

ابن خلدون , ص 55،53،49،35،31،16.

الإدريسي ، ص63،59،56،46.

الإمام أبو اليقظان ،ص 36،24،21.

الإمام أفلح ،ص 61،58،54،42،35،17.

الإمام يعقوب بن أفلح ،ص 34،21.

الإمام عبد الوهاب ،ص 60،58،32،21.

الإمام عبد الرحمن بن رستم ،ص 23،19،17،13،12،11،10،8 ،27،26،25،39،35،
53،69.

الإصطخري ، ص 48.

الباروني ، ص 47.

البكري ، ص 48،47،41،38،37،33،18،12،11.

البغطوري ، ص 65.

الدمشقي ، ص 31.

الدرجيني ، ص71،38،18،11.

الحموي ، ص 49.

الطبري ،ص 68.

اليعقوبي ، ص 48،47،45،22،21،17.

الماوردي ،ص 35.

المقدسي ، ص 57،33،23،19،13.

إبراهيم ،ص 36.

إبراهيم بحاز ، ص 34،21.

(ب)

بكر بن حماد ، ص 68،26،22.

(ج)

جابر بن غيث البلي ،ص 68.

جودت عبد الكريم ، ص 39،35.

جورج مارسيه ،ص 27.

(هـ)

هشام بن عبد العزيز ، ص68.

(ز)

زكار ، ص 36.

زكريا بن بكر أحمد الغساني الأشج ، ص 68.

(ي)

يزيد بن حاتم ، ص 10.

(م)

ماسكري ، ص 65.

مهدي النفوسي ، ص 38.

موسى بن عيسى بن أبي الحاج ، ص 68.

محمد بن الأشعث ، ص 9.

محمد بن عيسى البلوي بن الميراثي ، ص 68.

محمد بن عرفة ، ص 61.

محمود إسماعيل ، ص 40،58.

(ع)

عبد الملك بن أبي الجعد ، ص 8.

عبد الرحمن بشير ، ص 26.

عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- ، ص 11.

عمر بن عثمان القريشي ، ص 9.

فهرس الأماكن

(أ)

أودغشت ، ص 48.

أوزكا ،ص 47.

أوليل ، ص 48.

أوربا ، ص 69.

ألبيرة ، ص 50.

ألميرية ، ص 68.

إفريقية ، ص 9 ، 10 ، 39 ، 40 ، 44 ، 45 ، 46 ، 57 ، 70.

أصيلا ، ص 46.

أغمات ، ص 47.

الأندلس ،ص 13 ، 20 ، 27 ، 39 ، 40 ، 42 ، 45 ، 49 ، 61 ، 67 ، 68 ، 69.

البصرة ، ص 63.

الجريد ، ص 13 ، 19 ، 66.

الهند ، ص 20.

الزاب ، ص 44.

الزيتونة ، ص 19.

الكانم ، ص 65 ، 66.

الكوفة ، ص63.

الموصل ، ص 28.

المغرب الأدنى ،ص 10.

المغرب الأوسط ، ص 8 ، 9 ، 10 ، 16 ، 18 ، 31 ، 46 ، 69.

المغرب الإسلامي ، ص 8 ، 9 ، 39.

المغرب الأقصى ، ص 40 ، 46 ، 47 .

المغرب ، ص 13 ، 16 ، 20 ، 21 ، 28 ، 31 ، 39 ، 42 ، 46 ، 53.

المشرق ، ص 24 ، 28 ، 39 ، 47 ، 57 ، 60 ، 63.

السودان الغربي ، ص 26 ، 34 ، 39 ، 41 ، 43 ، 46 ، 48 ، 49 ، 61 ، 63 ، 64.

السوس الأقصى ، ص40.

العراق ، ص 20 ، 31.

الصحراء ، ص 14 ، 22 ، 62 ، 67.

القيروان ، ص 9 ، 10 ، 13 ، 39 ، 44 ، 61 ، 69 ، 70 ، 71.

الشام ، ص 53 ، 54.

الشلالة ، ص 16.

التل ، ص 14.

(ب)

بجاية ، ص 44.

برقة ، ص 8.

بلفين ، 68.

بغداد ، 28.

(ج)

جبال الأوراس ، ص 44.

جبال عمور ، ص 44.

جبال تدمر ، ص 13.

جبل أزرو ، ص 23.

جبل جزول ، ص 12.

جبل طارق ، ص 43.

جبل نفوسة ، ص 13 ، 19 ، 21 ، 27 ، 53 .

جبل سوفجج ، ص 16.

جزيرة أيوني ، ص 48.

جزيرة اليابسة ، ص 68.

جيجل ، ص 44.

(د)

دمشق ، ص 13 ، 23.

(و)

واد ريغ ، ص 13.

واد السوس ، ص 48.

وجدة ، ص 47.

ودان ، ص 9.

وهران ، ص 50 ، 53.

ورجلان ، ص 13 ، 19 ، 44 ، 48.

(ز)

زويلة ، ص 9، 44.

زغاوة ، ص 65.

(ط)

طرابلس ، ص 8 ، 9 ، 10 ، 13 ، 14.

طنجة ، ص 45.

(ك)

كوكو ، ص 65.

(م)

مالي ، ص 65.

ماسة ، ص 46 ، 47.

مجانة ، ص 40.

مصر ، ص 28 ، 42 ، 65.

مرسى الفروخ ، ص 45.

مرسى الخرز ، ص 45.

(ن)

نول ، ص 48.

نكور ، ص 46.

(س)

سبتة ، ص 45 ، 46 .

سجلماسة ، ص 40 ، 44 ، 46 ، 47 ، 48 ، 65 ، 71.

سطيف ، ص 44.

(ع)

عميرة ، ص 46.

(ف)

فاس ، ص 40 ، 45 ، 46 ، 61 ، 70 .

فزان ، ص 8.

(ص)

صقلية ، 70.

(ق)

قابس ، ص 40،9.

قرطبة ، ص 23 ، 37 ، 67 ، 68 ، 69.

قفصة ، ص 40.

(ش)

شلف ، ص 53.

شمال إفريقيا ، ص ،67,

شروس ، ص53.

(ت)

تاورغا ، ص

تدمير ، ص 45 ، 50.

تونس ، ص 44.

تيهرت ، ص 20 ، 19 ، 17 ، 16 ، 13 ، 12 ، 11 ، 22 ، 21 ، 23 ، 25 ، 26 ، 31
37 ، 39 ، 42 ، 46 ، 48 ، 49 ، 63 ، 68 ، 70.

تلمسان ، ص 14 ، 45 ، 46 ، 47.

تنس ، ص 43 ، 53 ، 69.

(غ)

غانة ، ص 48 ، 49 ، 63.

فهرس القبائل

(ز)

زناتة ، ص 9 .

زغاوة ، ص 65.

(ل)

لماية ، ص 10.

(ن)

نفوسة ، ص 36 ، 60 ، 65.

فهرس المواضيع

-إهداء

- شكر و عرفان

- مقدمة..... أ

مدخل

- بدايات الرستميين.....08

الفصل الأول

عوامل ازدهار النشاط التجاري

- المبحث الأول :

1- الزراعة:

1-1 الزراعة و ازدهارها.....16

2-1 أهم المنتوجات الزراعية:

1-2-1 القمح و الشعير.....18

2-2-1 البقول.....18

3-2-1 الفواكه.....18

4-2-1 الزيتون.....19

5-2-1 التمور.....19

3-1 الغابات.....19

1-3-1 نباتات طبية.....20

2-3-1 نباتات صناعية.....20

4-1 تربية المواشي.....20
5-1 نظام الرعي.....21

- البحث الثاني:

2- الصناعة :
1-2 الصناعة و ازدهارها.....23
2-2 أهم الصناعات و المهن.....24
1-2-2 صناعة النسيج.....25
2-2-2 الصناعات المعدنية.....26
3-2-2 الصناعات الفخارية 27
4-2-2 الصنائع و المهن الغذائية.....27

الفصل الثاني

التجارة على عهد الدولة الرستمية

- المبحث الأول :

1- التجارة الداخلية :

1-1 نمو و ازدهار التجارة الداخلية.....31
2-1 الأسواق و تنظيمها.....32
3-1 نظام النقود 34
4-1 المشرف على السوق.....35

5-1 المكاييل و الموازين و المقاييس.....37

- المبحث الثاني:

2- التجارة الخارجية :

1-2 نمو و ازدهار التجارة الخارجية 38

2-2 العلاقات التجارية:

1-2-2 علاقاتها التجارية مع إفريقية.....39

2-2-2 علاقاتها التجارية مع المغرب الأقصى.....40

3-2-2 علاقاتها التجارية مع سجلماسة 41

4-2-2 علاقاتها التجارية مع السودان الغربي.....41

5-2-2 علاقاتها التجارية مع الأندلس.....42

2-3 الطرق التجارية ووسائل المواصلات :

1-2-3 أهم الطرق بين تيهرت و إفريقية.....44

2-2-3 أهم الطرق بين تيهرت والأندلس.....45

3-2-3 أهم الطرق بين تيهرت و المغرب الأقصى.....46

4-2-3 أهم الطرق بين تيهرت و سجلماسة و السودان الغربي.....47

الفصل الثالث

الدور الحضاري للتجارة الرستمية

- المبحث الأول :

1- دورها الحضاري على المستوى الداخلي

1-1 تطور المدن.....53

2-1 دورها في تطور المجتمع.....56

- المبحث الثاني:

2- دورها على المستوى الخارجي.....62

2-1 في بلاد السودان الغربي 64

2-2 في الأندلس.....67

2-3 في إفريقية و المغرب الأقصى.....69

2-4 في سجلماسة 71

- خاتمة 74

- الملاحق.....77

- ثبت المصادر و المراجع.....87

- الفهرسة.....96